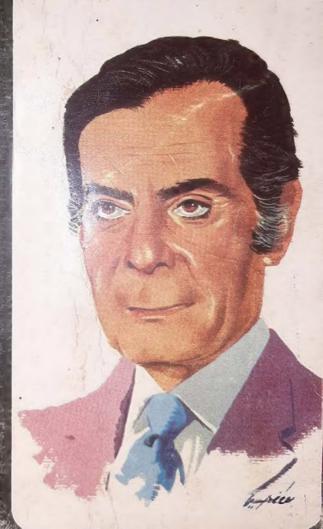
وريد الأطرش



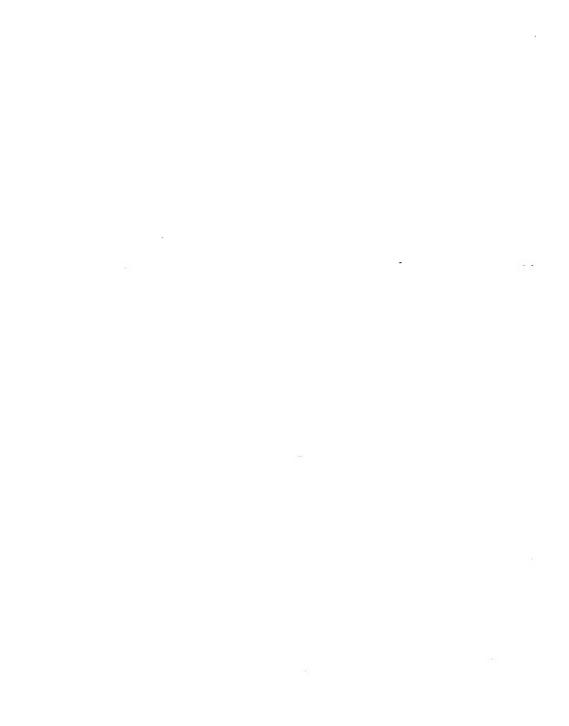
ين الفن والحياة

بأعتاره:
عدى الوهاب محمود الشريف محمود الشريف مورج الراهيم الخوري بالمائل مدى مدى مدى مدى مدى مدى مدى مدى مدى المدوج مدى المدود المدود



دارالمعارف بمصر

فريرُ اللُوطريت. بينَ اللِفيّ وَالْحِيّاة



فريرُ (اللُّوطريِكَ .. ببنَ (الفنّ وَ(لَحَيُّاةً

بأعتدم:

عسمدعبدالوهاب محسدعبدالوهاب محسود الشريف جورج إبراهيم الخورى سبديغ حسدك عسدية سربية حسد المسوجي أحسد و والحسن عسمود لسطي

الطبعة الرابعة



دارالهارف

إهداء

إلى روح الفنان فريد الأطرش . .

رمزاً للإعجاب والحب والتقدير . .

وتكريماً للغناء والموسيقي والفن في شخصه.



مقت تمة

كان فريد الأطرش ملكاً لجمهوره ومحبيه .. قبل أن يكون ملكاً لنفسه أو لأقربائه .

وبهذا المعنى بادر محبى فريد الأطرش .. عقب وفاته .. بتشكيل لجنة من أصدقائه ومحبيه وأقرب الناس إليه ..

الناس إليه ..
وفي أول اجتماع للجنة .. اختار الأعضاء ، الذين هم أولاً فنانون وأصدقاء فوق كونهم زملاء .. إلى اختيار الأستاذ الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب رئيساً للجنة . إن الأستاذ محمد عبد الوهاب .. ليس مجرد رائد فذا الجيل من الفنانين .. ولا مجرد رمز يتفق عليه لجميع من هذا الجيل .. ولكنه أيضاً راع للجميع .. أب للجميع وبالإضافة إلى ذلك فإن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان واحداً من القليلين جداً الذين يعطيهم المرحوم فريد الأطرش ثقته الكاملة .. صديقاً وأخاً وفناناً كبيراً ..

وبقدر ما سعت اللجنة إلى اختيار الأستاذ

عبد الوهاب ، بقدر ما سعى هو أيضاً ، بل وبادر كثيراً ، إلى تحويل العواطف الضخمة نحو الأستاذ فريد الأطرش .. إلى أعمال ملموسة تؤكد مساهمته الغنائية .. ودوره الموسيق .. ومكانته الفنية .

من هنا . . ولأسباب إضافية كثيرة . . بدأ التفكير في إصدار هذا الكتاب .

فمن الأسباب الاضافية . . ولكن الهامة أيضاً ، أن مستوى وإهمامات كتابات كثيرة عن فريد الأطرش كان أقل من فنه .

ومثلما حدث للمرحوم فريد الأطرش في حياته . . فأن كثيرين من الذين حسبوا عليه . . بدأوا في مماته مقدمونه للقارئ كمج د مادة مثدة . . . !

ولهذا بدأت اللجنة تفكر فى هذا الكتاب ، وكتاب آخر أكثر تخصصاً ، لكى تضع أمام القارئ صورة متعددة الجوانب ورفيعة المستوى . . للشخصية التى كان عليها فريد الأطرش : إنساناً . . وموهوباً . . وفانا كمراً .

ولم يكن هذا هو إحساس اللجنة فقط . . فبمجرد أن شاعت الفكرة . . . سارع كثيرون من المخلصين في التعبير عن حماسهم لها . . ورغبتهم الأكيدة في أن يكونوا جزءاً من نجاحها . .

وعندما بدأ تنفيذ الفكرة فعلاً . . كانت المشكلة هي ماذا يتم نشره ، وماذا لا يتم . لقد كانت عواطف

أصدقاء ومحبى فريد الأطرش أكثر تدفقاً ورقةوحماساً من كل التدفقات . . بحيث أن اللجنة تود أن تعبر هنا عن شكرها للذين ساهموا فى هذا الكتاب ، وأسفها الشديد للذين حالت ظروفهم ، أو ظروف الكتاب من مساهمتهم .



الفنّ. والحيناة .. وفرير الأوطري

بقلم: محمد عبد الوهاب

•



عندما جاء الأستاذ فريد الأطرش إلى مصر لأول مرة . . لم يكن المناخ الفنى مهيأ لاستقباله هو . . بقدر ماكان مهيأ لاستقبال أخته . . المرحومة أسمهان .

كانت الأصوات السائدة والمتنافسة فنياً تتراوح بين منيرة المهدية وفتحية أحمد وأم كلثوم . وفي وسط تلك المنافسة ، جاءت أسمهان متميزة بصوت حلو النغمات حديث الأسلوب مختلف النبرة . . بالإضافة إلى الصفات الأخرى التي لا بد أن تتوافر في صوت المطربة التي تريد أن يكون تعبيرها سلماً وممتازاً في الغناء الشرق .

وأمام العقبات الكثيرة التي وجد فريد الأطرش نفسه يواجهها . . وأهمها كما ذكرت أن المناخ الفنى لم يكن مهيأ أساساً لاستقباله . . فإن فريد الأطرش لم يجد بدًّا من أن يبدأ حياته الفنية عازفاً على العود مع الفرقة الموسيقية التي تصاحب أسمهان في الغناء .

فى تلك الفترة حاول فريد الأطرش أيضاً أن يعمل بمفرده . . عازفاً ومطرباً عند المرحومة بديعة مصابني . . ولكنه لم يحقق لنفسه النجاح المطلوب .

بل إن فريد واجه فى الحقيقة ما هو أكثر من ذلك . . خلال تلك السنوات المبكرة من حياته . إن الذين عاصروا الحياة الفنية فى ذلك الوقت يتذكرون مثلا النكتة الشهيرة التى أطلقها عليه بعض الساخرين وقتها ، وعلى رأسهم رجل محب للغناء والمغنين اسمه محمد دبشة .

تقول النكتة إن أحد المستمعين سأل زميله : من هذا العازف على العود المــذى

يصاحب أسمهان في غنائها ؟

قال له الآخر : إن اسمه هو فريد . . الأطرش .

رد الأول : يابخته !

ر بما من أجل هذه العقبات كانت المرحومة أسمهان تحس أنها في حاجة إلى بذل مجهود إضافي للمساهمة في تذليل هذه العقبات التي تعترض بروز موهبة أخها . ومن أجل هذا أيضاً كانت أسمهان تشترط علمهم الاستعانة بفريد . عازفاً أو مطرباً .

وبالإضافة إلى ذلك . فإن أسمهان حاولت فى البداية أن يكون صعودها الفنى مقترناً بأخيها . . وألا يتأخر بروز واحد منهما عن الآخر . . لأن أسمهان كانت مؤمنة إيماناً تاماً ومطلقاً بموهبة فريد . . فى الوقت الذى كان فريد يواجه فيه عقبة بعد الأخرى .

ولم تكن العقبات التي تواجه فريد تتعلق فقط بالمناخ الفني السائد . . والمسيطر وقتها . . وإنما كانت تتعلق أيضاً بالطريقة التي بدأ بها حياته الفنية . إن أبرز مساوئ تلك الطريقة كانت الأسلوب الذي ينطق به فريد بعض الألفاظ – كالراء والحاء مثلا – مما يجعلها في النهاية تخرج في حالة قلقلة لم يكن يألفها الذوق المصرى في الغناء وقتها . . وهو الأمر الذي يضع من البداية حاجزاً من الغربة بين المطرب ومستمعيه .

ولكن . . إذا كان فريد قد عانى من تلك العقبات فى البداية . . فإنه كان يتمتع أيضاً بموهبة أخرى غير موهبته الصوتية : إنه كان قوى الإرادة ومشحوناً بالإصرار وعنيداً إلى أقصى درجات العناد . إنه لم ييأس ولم يستسلم ولم يتراجع أو ينسحب . . وإنما اعتبر تلك العقبات تحدياً إضافياً لا بد له من أن ينجح فى مواجهته من البداية .

ومن البداية حتى النهاية نجح فريد فعلا إلى أقصى مدى فى أن يكسب معركته ويحقق شعبيته ويفرض موهبته التى حاول البعض أن يرفضها فى البداية . . إن الذين رفضوه . . كانوا فيا بعد هم الذين استمعوا له وأعجبوا به وصفقوا له وانفعلوا به وتحمسوا لموهبته .

ولأن لكل معركة دروسها ، فإن الدرس الذى خرج به فريد الأطرش من معركته لإثبات نفسه فى تلك الفترة . . كان هو الإحساس المطلق بسطوة الجمهور . . والولاء المطلق لرغبات الجمهور . . والتركيز المطلق على تحسس رغبات الجمهور .

لقد كان فريد الأطرش فى بدايته مبشراً بتطور كبير . . ولكن تلك المعركة المبكرة خلقت فى داخله الإحساس بأن يكون محافظا كبيرا . إننى ربما اختلفت فنيا مع فريد فى هذه النقطة . . فإننى شخصياً اخترت لنفسى من البداية طريقاً عكسياً . . وفضلت أن أبداً فنياً من الموجود فعلا . . لكى أحاول بعد ذلك السعى إلى تطويره .

ولكن فريد كانت له ظروف أخرى ألزمته من البداية بأن يكون محافظاً في تطوره . . بحيث إنه بدأ فنياً بمحاولة تطوير الأساليب السائدة في الموسيقي والغناء . . لكي يضطر بعدها إلى توقيع هدنة . . أو التوصل إلى حل وسط . . يجعله يمارس محاولته للتطوير في حدود الموجود فعلا .

وكان صوت فريد الأطرش هو سلاحه الأول في كل معاركه الفنية . . لأن صوته كان موهبة في حد ذاتها تضيف الكثير إلى الأصوات الموجودة والمنتشرة .

كان صوت فريد الأطرش يحمل من البداية كل بصهات الموهبة والاختلاف والتميز.

فهن الناحية المبدئية كان صوته سلياً . . نقياً . . يتمتع بكل الصفات الفنية اللازمة للنجاح كمطرب .

ومن ناحية أخرى كان صوته واسع المسافات جداً ومتعدد النغمات . . يحيث إن القرار والجواب فيه ممتازان للغاية . . و بحيث إنه يستطيع فى النهاية أن يحرك مشاعر الناس بغير حدود . . فينفعلون معه و يصفقون له صائحين : الله . . .

لم يكن صوت فريد الأطرش هو صوت إنسان يغنى . . ولكن كان صوت إنسان يطرب . . والفرق كبير بين النوعين ، فالأول ممتاز . . ولكن الثانى هو الموهوب . . والمغنى

ريما يثير حماس المستمع . . ولكن المطرب يلهب أكف المستمع بالتصفيق .

ولأن فريد واجه من البداية محاولات لرفضه . . فإن ولاءه للتصفيق كان حتى النهاية تأكيدا يراه هو ويسمعه بأذنيه لسوء تقدير الذين رفضوه فى البداية . . وتأكيداً لحسن تقديره هو لإحساس الجمهور وانفعالاته .

إن الجمهور كان موجوداً دائماً فى تفكير قريد الأطرش وغنائه وألحانه . . من البداية حتى النهاية . وحينا أعطى قريد مرة إضافة صوتية جديدة ومتميزة للجمهور . . ورأى بعينه كم يتذوقها ويستحسنها ويطرب لها الجمهور . . فإنه ظل يستخدمها بعد ذلك بصفة دائمة . . كلما أراد أن يرضى الجمهور . . أوكلما أراد هو أن يحس برضاء الجمهور . . لأنه فى التحقيقة كان يحصل على النتيجة فوراً . . والنتيجة كانت هى دائماً : مزيداً من تصفيق الجمهور واستحسانه ورضائه . .

ولقد ساعدت الفترة الأولى من عمل فريد عند بديعة مصابني . . فى أن يكون إحساس فريد بجمهور جاداً ومستمراً . . ر عا من أجل هذا مثلا كانت الإبقاعات الراقصة . . والاسكتشات الغنائية الشعبية ، هي من أفضل ما قدمه فريد الأطرش لستمعيه . . ومن أجل هذا أيضاً كان الجمهور يحب أن يستمع دائماً إلى الموريل من فريد الأطرش . . عما كان بجعله ، خصوصا في الحفلات العامة ، يشير للفرقة الموسيقية بأن تبطئ من عزفها . . لكي يرتجل هو موالا بصوته الموهوب . . مما بجعل الجمهور يصبح طراماً وإعجاباً بمجرد أن يغني فريد : ياليل ياعين . . أو وفأوف .

لقد أحس الجمهور بأصالة المطرب فى صوت فريد الأطرش .

وأحس الجمهور أيضاً بنذرة العظمة في ألحان فريد الأطرش . .

فى الواقع لو أننا أخذنا لحماً واحداً مثل « أنا . . واللى باحبه » . . الذى عبر فيه فريد عن موجة التانجو الغربية التي كانت سائدة وقتها . . لوجدنا فيه بذرة النبوغ واضحة فى أحلى و جمل صورها . إن التركيبة الموسيقية التى ابتكرها فريد فى هذا اللحن لا يمكن أن تخرج إلا من عقل موسيقى نابغ يضع فى الجملة الموسيقية من الهندسة والفن ما يضعنا فى النهاية أمام موهبة قريد الموسيقية كاملة .

إننى ربما أستطيع أن أضرب أمثلة عديدة فى هذا الاتجاه من بين أعمال فريد الأطرش مثل « وياك . . وياك . . مطرح ما تروح وياك » . . أو مثل أغنية « يا زهرة فى خيالى » . . التى أثبت فيها فريد الأطرش مدى تفتحه المبكر على الموسيقي الغربية . . ومدى قدرته على التطوير فى الحدود التي لا تخرج موسيقانا عن طابعها الأصلى وإطارها الشرقي .

إن هذا الطابع نستطيع أن نجده فى كثير من الأعمال الموسيقية التى تركها لنا فريد الأطرش ، ومعظمها أعمال نستطيع أن نجد فيها الجملة الموسيقية التى تتمتع بالأصالة والجمال والتميز . . وفى الوقت نفسه يمكن الانتفاع بها فى إطار عالمى .

ولكن فريد ، بقدر ما كان يتمتع بالموهبة والحماس والعناد . . بقدر ما كان أيضاً يتمتع بالقدرة على الملل فنياً بسرعة .

كانت حياة فريد الأطرش لا تترك له مجالا للتفرغ فترة كافية من أجل الاستمرار في تأكيد وتدعيم وتثبيت لون موسيقي ابتكره هو.

إن فريد كان يفضل الحياة الصاخبة . . المرحة . . والمسلية . . بحيث إننى مؤمن تماماً بأنه لوكان قد استثمر حياته بشكل مختلف . . لترك لنا أضعاف ما ترك . . ولحقق لنفسه من الثروة أضعاف ما حققه . . ولكانت الموسيتى الشرقية قد أخذت منه أضعاف ما أخذت .

ولكن فريدكان يحب الحياة . . تماماً عثل حبه للجمهور . . و بمثل حبه لفنه . . إن الجميع أخذوا منه حظاً متساوياً من الاهتمام والإقبال . . بحيث إن المنافسة كانت مستمرة بين الثلاثة دائماً – الحياة والجمهور والفن – حتى اليوم الأخير من حياة

فريد الأطرش .

ولم يكن فريد متميزاً فقط كمطرب وكملحن . . ولكنه كان متميزاً أيضاً كمستمع . في الواقع أن إحدى مواهب فريد الأطرش كانت قدرته على أن يضع بده فوراً على الشيء الجميل والجديد في أى لون من ألوان الغناء والموسيق . . وحتى في طريقة سماعه لأية أغنية ، أو لحن جديد . . فإنه يستمع بإحساس الفنان العريق . . العادل مع نفسه . . ومع أعمال الآخرين . . إن وجود سوء تفاهم مثلا ، أو حتى وجود خلاف شخصى ، بينه وبين صاحب العمل الذي يسمعه . . لا يمنعه مطلقاً عن أن يقرر فوراً أن هذا العمل ممتاز . . أو جديد . . أو مبتكر .

إن هذا ليس أمراً مألوفاً دائماً . . بل إن المألوف أن تنأثر الأحكام الفنية للناس عشاعرهم الشخصية . . ولكن هذا العيب العام لم يكن موجوداً على الإطلاق في فريد الأطرش . لقد كان في هذا المجال نموذجاً للإنسان البسيط . . الفنان . . الخالى من الحقد . . أوالغيرة . . والمشحون بالحماس لكل جميل وجديد في الفن .

و بالإضافة إلى ذلك فإن شخصية فريد نفسها كانت خالية تماماً من سوء النية . . أو المكر . . أو الخبث . . وعلى العكس من ذلك . . كان فريد صادقاً دائماً . . وصريحاً وطيب القلب . . ربما إلى درجة السذاجة في بعض الأحيان .

ولكننى لا أريد التعرض إلى شخصية المرحوم فريد الأطرش الآن . . لأننى أريد التركيز أولا على فنه . . فهذا هوالذى سيعيش منه فى النهاية . .

إن فن فريد الصوتى نستطيع أن نجده واضحاً فى كثير من أعماله الكبيرة مثل : أول همسة . . الربيع . . بنادى عليك . . حبيب العمر . . نجوم الليل .

فى تلك الأعمال ، وكثير غيرها ، نستطيع أن نضع أيدينا على موهبة فريد الأطرش الصوتية كاملة . موهبة تستطيع أن ترغم المستمع على أن يصيح : الله . . وعلى أن يكتشف فى المطرب أحسن ما فيه . . وأجمل ما لديه . لقد كان صوت فريد الأطرش

واحداً من الأصوات القليلة التي لها شخصية . . وقد أسعد الناس بهذا الصوت سنوات طويلة . . في ألوان متعددة كان فيها الشعبي والاستعراضي والطويل والقصير . . والحزين والمفرح .

ولقد ربطتني بفريد الأطرش صداقة فيها من العمق بأكثر مما فيها من الطول . . وخلال السنوات العشرة الأخيرة من حياته كانت تلك الصداقة قد توثقت إلى أقصى درجة ممكنة . . وخلال تلك الفترة كان فريد هو الصديق الذي لا يعوض . . وكان هو أيضاً الوفاء كله . . والطيبة كلها .

والواقع أن فريد الأطرش كان وفيًّا جدًّا جدًّا لأصدقائه . . بل إنني أعرف علاقات صداقة في حياة فريد استمرت ثلاثين وأربعين سنة . . إن فريد لم يكن يحب أن يغير أصدقاءه . . كما أنه هو أيضاً لم يكن يحب أن يصبح صديقاً لأحد بسرعة .

ولم يكن فريد يحب أبداً أن يستبدل صديقاً قديماً بصديق جديد أكثر نفعاً . . إن الصداقة عنده كانت لوجه الصداقة . . قبل أن تكون لوجه المصلحة أو المتفعة أوأى شيء آخر .

وبقدر ما كانت هذه كلها مزايا حقيقية فى فريد الأطرش . . بقدر ما كان يعانى من عيب آخر . . هو بدوره نتيجة لحسن ظنه الشديد وطيبته الدائمة نمع الحياة ومع الناس .

كان عيب فريد أنه لا مجيد اختيار أصدقائه !

ففيا عدا استثناءات قليلة . . لم يكن أصدقاء فريد الأطرش من الإخلاص بحيث يدفعونه لإعطاء المزيد من حياته للفن . . ولم يكونوا من الثقافة بحيث يستفيد هومن مجلسهم ثقافيًا . . ولم يكونوا أصحاب بصيرة يضعون أيدى فريد على المستقبل قبل أن يفاجأ به . . ولم يكونوا من الحكمة بحيث يرغمون فريداً على أن يدرك أن الفنان هو فنان أولاً قبل أن يكون شريك أنس أو صديق سهرة أو شريك مائدة .

إن الصديق يصبح خطراً كبيراً حينها يعجز عن تنبيه صديقه إلى عيوبه ، قبل أن يخاطب فيه مزاياه . . وفي هذا المجال فإن حكاية عقدة الاضطهاد التي كانت تشاع عن فريد الأطرش هي مجرد إشاعة خلقها عدد من أقرب أصدقائه هو . . ونقلوها إليه وألحوا مها على أسماعه . . إلى أن أصبح هو يؤمن مها في اللحظات غير المشرقة من حياته .

إن الصداقة من جانب فريد الأطرش كانت لوجه الصداقة . . ولكنها من جانب بعض أصدقائه كانت لوجه المصلحة ، أو المنفعة ، أو حتى مجرد الأنس والعسلية .

ولم يكن من الممكن مشاهدة فريد غالباً إلا وسط حزام من الأصدقاء . لقد كان فريد حريصاً دائماً ، وفي أي ساعة من ساعات الليل أو النهار ، على أن يعيش حياته وسط مجموعة أصدقاء . ولم تكن مائدته تخلو دائماً من خمسة عشر أو عشرين صديقاً في أي يوم من الأيام .

إن تفسيرى الشخصى لهذه الظاهرة فى حياة فريد هو أن كان لديه إحساس دفين بأن الحياة قد صدمته مبكراً . . بحيث إنه أصبح فيا بعد بخشى من نفسه . . أو يخشى أن ينفرد بنفسه . . لهذا فإنه كان يدفن نفسه دائماً وسط مجموعة من الصداقات الدائمة التى تجعل الحياة بالنسبة له أكثر احتمالاً . . والمستقبل أقل قسوة . . والماضى أقل عناً .

من أجل هذا كان مجلس فريد الأطرش هو دائماً مجلس الأنس والسرور والتفاؤل والسعادة والضحك والتسلية و « الفرفشة » و. . شيء من الغناء والموسيتي .

ومن أجل هذا فإن فريد كان حريصاً على أن يبدأ اندماجه اليومى فى هذا الإطار من اللحظة الأولى التى يستيقظ فها من النوم . إن مجموعة أصدقائه موجودة فى حياته ابتداء من تلك اللحظة . . وهم معه طوال اليوم فى كل لحظة . حتى وهوضيف فى أى مكان أوأى منزل أوأى صديق . . فإنهم معه دائماً .

والأستاذ فريد الأطرش كانت حياته تختلف عن نفسه على قدر كبير . . فهو

فى حياته الخاصة مرح جداً . . وصاحب نكتة . . ولا يتقوه إلا بالكلمة الضاحكة الحلوة ، وكان لا يحب الحزن فى جلساته وكان يعيش الحياة بالعرض . . فهو يسهر الليل إلى الخامسة أو السادسة صباحاً مع أصدقائه المختارين . . وينام للظهر ، ثم ينهض من النوم ليلتقى بأصدقائه ثانية . . ويتناول طعام الغداء ، ويجلس معهم إلى السادسة أو السابعة مساء ، ثم ينام ساعتين إلى التاسعة مثلا وينهض من الفراش ليستأنف السهر مع الأصدقاء إلى الصباح . .

وفى كل هذه المجالس هناك الضحك ، والنكتة ، والسخرية ، والبهجة ، والسرور ، ومع ذلك كنا نراه فى أغانيه خصوصاً الطويلة منها تغلب عليها سمة الحزن . . خصوصاً فى طريقة إخراج صوته أو حتى فى الجملة اللحنية ، ولعل السبب فى ذلك أنه كان يحتاج إلى الأسرة التى لا ينعم بها . . وإلى الحيوية التى تنكرت له !

ومع الحياة التي كان يعيشها فريد بالطول وبالعرض كنت أتساءل : متى يجد وقتاً لكي يلحن ؟

وأين الوقت الذي ينفرد به بنفسه طويلا . . لينتج كل هذا الإنتاج الغزير في وسط حياته الصاخبة ؟

وسرعان ما جاءني الرد . .

فريد الأطرش كان موهوباً ، وواثقاً من نفسه ثقة كبيرة .

فاللحن في يده لا يستغرق أكثر من دقائق معدودة . .

كان يضع الكلام الذي سيلحنه . ثم يلحنه . . ولا يغير فيه أبداً مهما كان . . ولا يضيع وقته في « الوسوسة » عملا بالمثل القائل : ليس في الإمكان أبدع مماكان ! .

وكان يسعد فريد بأن يسمعني بعض ما يلحنه بصفة خاصة . .

ربماكان هذا اعتقاداً منه بأنني أحس به أكثر من الغير . .

وعندما أحاول أن أستوضحه . . لماذا لا تكون الجملة الموسيقية هكذا . . كان يدافع

عن رأيه بحماس شديد ، حماس بجعلني أحس بأن ما يلحنه ينطبق عليه القول المأثور: ليس في الإمكان أبدع مماكان . .

والكلام عن فريد الإنسان قد يطول . .

فهو لا يسىء إلى أحد ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يقول إنه أساء إليه . . أوكان سبباً في ضرره .

على العكس ، ربما كان فريد قد لحقه الضرر من بعض أصدقائه بلا سب . . كان وفياً . . وكان صديقاً . . وقد أجهد نفسه إجهاداً كبيراً في حياته الخاصة . .

ولو قدر له أن يعطى جزءاً أكبر لفنه لأضاف إلى الثراء الفني الذي أعطاه للغناء العربي . . ثراء آخركبيراً . .

وبين ذكرياتى مع الفنان الراحل فريد الأطرش . . أنه كان يتمنى أن أركب مجانبه ولو مرة واحدة الطائرة ، وعرض على مراراً أن يدفع هو ثمن التذكرة إلى أى بلد أريدها فى العالم ، حتى ولو كانت أمريكا أو اليابان . . لا لشئ إلا لمجرد رؤيته ماذا أعمل وأنا فى الطائرة .

وفى إحدى المرات دعانى لكى أسافر معه إلى بيروت ، وفى لحظة من اللحظات أصر على هذه الدعوة وقبلتها فى غفوة من التفكير . .

وفي آخر لحظة . . هر بت . .

وكان لهذا الحادث وقعه الشديد عليه ، وتأثر من هذا الهروب . . ثم صالحته بعد ذلك . . ولكني لم أدفع له ثمن تذكرة الطائرة التي دفعها !

وكثير من الناس كانوا يعتقدون أن العزيز الراحل فريد الأطرش يدعى المرض ليستجلب عطف الجماهير، ولكننى أشهد بأن ذلك كذب، فقبل وفاته بثمانية أعوام كان فريد يقوم بتصوير فيلم لحساب مؤسسة السينما المصرية وكان الدكتور حاتم فى ذلك الوقت وزيراً للإعلام والثقافة، وذهب الأستاذ فريد الأطرش، وتورمت قدماه،

حتى إنه لم يتمكن من النوم إلا وهو جالس على المقعد وخلفه الوسادات لصعوبة نومه وهو راقد في فراشه . .

كلمني طبيبه الدكتور عوض إبراهيم ، وقال لى :

لو استمر فريد في العمل فني ذلك نهاية حياته . . فأرجوا الاتصال بالمسئولين لسفره إلى لندن للعلاج . .

اتصلت تليفونيًّا بالدكتور محمد عبد القادر حاتم ، وأخبرته بما قاله الأطباء ، وقلت له :

- إن بعض المسئولين في مؤسسة السينما يعتقدون أن الأستاذ فريد ليس مريضاً ، وأن كل ما يريده هو الذهاب إلى لندن وباريس للتنزه كعادته ، ونقلت له ماقاله الدكتور المعالج بالحرف الواحد ، فأمر الدكتور حاتم على الفور بإيقاف تصوير الفيلم ، وسفر الأستاذ فريد إلى لندن للعلاج . .

وسافر فريد. وسألت الأطباء:

هل حقيقة أن فريد كان في خطر؟

فقالوا لي:

إن الفنان فريد الأطرش لا يحتمل الحياة أكثر من ستة شهور. . .

ولكن الله خيب ظنهم ، وعاش بعد ذلك ثمانية أعوام بإيمانه وحبه للحياة .

وكان فريد يتسلى أحياناً بلعب القمار.

لم يكن هذا غريباً . . ففريد كان يقامر فى كل لحظة بصحته وحياته . . فليس غريباً إذن أن يقامر من وقت لاخر بنقوده .

ولقد حدث أن التقينا مرة في مدينة باريس .

كنت أنا وحدى . . وكان هو فى صحبة المثلة الأجنبية «ريتا هيوارت » . . التي كانت تربطها به فى تلك الفترة صداقة حميمة . . تجعلهما يقضيان ، أغلب

وقتهما معاً .

وقرر فريد أن يدعونا – ريتا هيوارث وأنا – لمشاهدة سباق الخيل .

وعندما بدأ السباق طلب منى فريد أن أرشح له رقماً يلعب عليه . . إننى حاولت أن أعتذر له بأن خبرتى منعدمة تماماً فى هذه الأشياء . . ولكن أصر على طلبه . . وأكد ذلك بقوله : لازم ترشح لى نمرة . . لوخسرت أنا أتحمل الخسارة . . ولوكسبت يبقى نقسم المكسب بالنص .

وكنت أنا شخصياً أتفاءل برقم « سبعة » . إن السلم الموسيقي يتكون من سبع درجات . . وقوس قرح يتكون من سبعة ألوان . . ورقم سبعة يتكرر هو نفسه كثيراً في بعض آياة القرآن الكريم .

وضحك فريد من أفكاري أنا . . وبدأ يلعب .

وكانت المفاجأة هي أنه كسب ما يعادل أربعة آلاف جنيه!

وكانت المفاجأة الثانية هي أن فريد صمم فعلا على أن يقتسم معى ما كسب : بأخذ ألفين . . وآخذ ألفين من الجنبهات .

وحاولت أنا أن أرفض ، على اعتبار أن المسألة كلها كانت مزاحاً من أولها إلى آخرها . ولكنه أصر. . بل لم مهدأ . . إلا بعد أن اقتسمت المبلغ فعلا !

وفى اليوم التالى دعوت فريد إلى الغداء . . فقد كنا نقيم فى تلك الفترة فى فندق واحد فى باريس ولكن فوجئت عند حضوره ، بأن معه عشرين صديقاً ، هم (شلته » الدائمة فى باريس ، التى تحقق له فى الغربة نوع الحياة التى بمارسها فى القاهرة . . أو فى بيروت .

ولقد كان هذا كله جزءاً من إقبال فريد على الحياة . . وجزءاً من إصراره على أن يعيش حياته بالطول والعرض . . ولا يهم بعد ذلك أى ثمن يدفعه من أمواله . . أو صحته . . أوحياته .

وكل شيء فعله فريد الأطرش . . فإنه كان يفعله بإخلاص وحب شديدين . . إذا أحب . . فهو عاشق مائة في المائة .

وإذا لعب . . فهومشغول عن أىشىء آخرمائة فى المائة . .

وإذا ضحك . . فهومعافي من الهموم مائة في المائة . .

وحتى إذا أكل . . فهومتفرغ تماماً للطعام مائة فى المائة .

لقد دعانى مرة إلى الغداء في باريس . . بمناسبة وجود وكيل جمعية المؤلفين والملحنين القادم من لندن .

كانت الدعوة عادية . . ولكن الذى لم يكن عادياً إصرار فريد على أن يكون الطبق الرئيسي في الطعام هو « لحمة الرأس » .

صحت أنا مندهشاً : لحمة رأس فى باريس ؟ إننى لم آكلها فى القاهرة . . فهل آكلها فى باريس ؟

قال فريد : نعم .

وفعلا . ظللنا نتجول بالسيارة أكثر من ساعة إلى أن استطاع فريد أن يعثر فعلا على مطعم يقدم « لحمة الرأس » . . وهو مطعم كان مملوكاً لأحد أصدقائه التونسيين المقيمين في باريس !

وبقدر ماكان فريد دمثاً فى أخلاقه . . ووفياً فى صداقته . . وكريماً فى حياته . . فإنه كان دقيقاً فى مواعيده إلى درجة النعصب . . فإنه يحب أن يلتزم بمواعيده مع الآخرين دائماً . . ويحب بالتالى أن يلتزم الآخرون بمواعيدهم معه تماماً . . إن أقل إخلال بموعد معه هو إهانة . . أو على الأقل إهمال ربما يستحق منه أن يقاطع ذلك الانسان تماماً .

لقد أجهد فريد نفسه في حياته الخاصة كثيراً جداً . . وإنني أتصور لو أنه رصد ربع ماأنفقه فيها « للفن » . . لأدى ذلك إلى إثراء الفن الغنائي والموسيقي عندنا

أضعاف أضعاف ماقدمه فعلا.

لقد امتدت مساهمة فريد الأطرش فى فننا الغنائى والموسيقى إلى جبهة واسعة جدًا ، شملت كل الألوان . . من الأغنية القصيرة ، إلى الطويلة . إلى الاستعراضية . إلى الشعبية . . إلى الأوبريتات .

ولو أن فريداً كان يمتلك موهبة الاستمرار في المحاولة والإصرار عليها . . لقدم لنا أعمالا خطيرة في المسرح الغنائي . . ولكان بالتالي قد كسب للمسرح الغنائي جمهوراً عريضاً .

وقد عمل الفنان الراحل الأستاذ فريد الأطرش من البداية في صالة « بديعة مصابني » مع المطرب الأستاذ إبراهيم حمودة وعلى ماأذكر أنه ابتدأ عازفاً للعود . . ثم بعد ذلك أخذ يغنى في هذا الجو . . جو صالة بديعة مصابني . . فقدم الأغاني الراقصة ذات الطابع الإيقاعي ، التي يرقص عليها الغير .

وبعد فترة دخل الفنان الراحل مرحلة أخرى من مراحل حياته الفنية ، حيث بدأ يعتنى بغنائه تدريجياً مستفيداً بخبرته في المحالات الفنية . . ويلحن ألحاناً لا يغنيها إلا مطرب ذو صوت مقتدر .

و بعد ذلك حاول الفنان الراحل فريد الأطرش تقليد المصريين فى أهم ميزة بمتازون بها فى الغناء الشرقى ، وهي «القفلة » المصرية ، وقد نجح فى ذلك إلى حدكبير .

وقد ساهم المرحوم فريد الأطرش فى إثراء الترات العربى فى الغناء والموسيقى . . إلا فى ناحيتين . . هما الدور والموشح . . فلم يلحن فى هذين المجالين . . ولكنه أثرى الغناء فى الأغنية الفردية الطويلة والقصيرة الحديثة . .

فنى مجال الأغنية الطويلة ، له روائع طويلة الحياة ، كأغنية « أول همسة » وأغنية « الربيع » وأغنية « بنادى عليك » وأغنية « حبيب العمر » وألحان أخرى . . وهذه الأغانى الطويلة التي تمتد لأكثر من نصف ساعة ، ربماكانت تصل في الحفلات إلى

حوالي ساعة ونصف الساعة . . .

ولم يكن بمستطاع أن تتحمله الجماهير إلا إذا كان له صوت قادر له مسافات راثعة . سواء في ه قراره ه أو في ه وسطه ه . . . أو في ه عاليه ه . . . وله أيضاً المقدرة على تأديته بما يريد في جميع هذه الأوضاع بالقدر المتساوى من القدرة ، بجب أيضاً أن يكون له استعداد وهذا طبيعي لأنه ملحن . . في أن يضيف في كل مرة يغني فيها الجملة إضافات جديدة ، جميلة وبمتعة ، تصل إلى آذان الناس ليستمتعوا بها ولا علوا سماعها وهو يكررها . . مرة . . مرتين . . عشر سنوات ! .

وهذا لا يكون إلا في صوت عظيم . .

وهذا ماكان عليه المرحوم الفنان الراحل فريد الأطرش . .

أما في مجال الأغنية الشعبية ، فقد ساهم بعشرات الأغنيات التي تتميز بالإيقاع الشعبي الراقص ، واللحن الشرقى الأصيل ، والبساطة في التلحين وعدد المقامات التي يلحن بها هذه الأغنيات ، حتى بمكن للجمهور أن يغنيها ، ويرددها .

وعلى سبيل المثال أتذكر أغنيات كثيرة له . . مثل « سافر مع السلامة » و . . « ماقالى وقلتله ، ولاكتب على وراق الشجر ، ونورا يانورا » ، ومثل هذا كثيراً جدًّا . .

وفى عالم الأغنية الحديثة خرج الفنان فريد إلى آفاق أخرى غير اللون العربى . . . ولكنه بإحساس الأصالة العربية ، اختار ما يوافق المزاج العربى من نقله لبعض الألوان الغنائية الأوربية . . كالتاتجو مثلا ، لأنه قريب من حيث « الميلودى » أو بعبارة أخرى من حيث الجملة الملحنة في التاتجو وقربها من الرومب التي هي من معالم الغناء العربي .

ومن هذه الأغانى على سبيل المثال « يازهرة فى خيالى » و « أنا واللي باحبه » ، وأغنيات أخرى من هذا النوع .

وأذكر عن الفنان فريد الأطرش . . أنه كان يحب الجماهير ، لأن الجماهير

كانت تحبه . . لذلك كان يحاول جاهداً إرضاء الجماهير بأى شكل كان . .

ومن ملامح فن الفنان فريد الأطرش إحساسه بأن الجماهير تحب الموال سواء كان هذا الموال يبدأ بياليل ياعين ، على الطريقة المصرية ، أو بأوف أوف على الطريقة السورية . فكنا نراه يعطى هذا اللون من خلال كل أغنية شعبية . .

لقد كان فريد مطرباً شعبيًّا وجماهيريًّا من الدرجة الأولى . .

كان يجيد معرفة رغبات الجماهير ، ويجيد التعامل معها ، ويجيد تلبيتها . ولكنه سرعان ماكان يحس بالملل .

وأحياناً كَان الملل يصيبه قبل أن ينتهى من اللحن الواحد . أو الأغنية الواحدة . إنى ذكرت من قبل أغنية 1 أنا . . واللي باحبه 1 . . كنموذج للتفكير

. الموسيقي الهندسي والنابغ والعالى المستوى .

ولكن ، قبل أن تصل الأغنية إلى منتصفها كنا نفاجاً بفريد وقد نقلنا موسيقيًّا إلى شيء آخر تماماً في مقطع « انت روحي . . وانت قلبي . . إلخ » .

إن تلك النقلة تتميز طبعاً بالسهولة والشعبية والإيقاع الراقص . . كل هذا جميل . . ولكنها تمثل جوًّا آخر مختلفاً تماماً عن الجو الذي بدأ منه لحن « أنا . . واللي باحبه . . »

ولكن . . هكذا كان فريد الأطرش !

لقد أحب الجمهور دائماً ، وعمل له ألف حساب دائماً ، ونجح فى التعامل معه دائماً . وفى وسط هذا كله استطاع فريد أن يحتفظ لنفسه بالشخصية الغنائية المتميزة الواضحة السبطة المحبوبة .

فى الواقع أن فريد الأطرش كان فناناً عظيماً فى عصره . . وصديقاً لا يعوض فى صداقته . . وإنساناً لا يبارى فى بساطته .

محمد عيد الوهاب

فریر (الگوطرمیےی فنائ (أحربے کل میسیء

بقلم: محمود الشريف







لا تسألوني عن بدايته . .

فقد كانت بداية فريد الأطرش متواضعة . . وأكثر من متواضعة . لم يكن من بين مجموعة أصدقائه ورفاقه الأول - وأنا من بينهم - من تنبأ له بمستقبل فنى . . أو بأى مستقبل على الإطلاق ! كان فريد من البداية مدللا جداً . . وكان بدوره يحب من الذين حوله أن يدللوه تماماً . . وكان إقباله على الحياة منقطع النظير . إن إنساناً ينغمس فى الحياة بهذا الشكل ، لا بد أن يجعل أصدقاءه يتساءلون : متى يتفرغ للعمل ؟

ولقد ظل هذا السؤال ملتصقاً يفريد الأطرش من أول يوم حتى آخريوم فى حياته . فلم يكن فريد مخطط لحياته أبداً . . وحتى إذا حدث وخطط لها . . فإن لكل شىء في خططه مكاناً . . إلا العمل !

ولا تسألوني عن فنه . .

فقد كان فريد الأطرش ، ولا يزال ، يملأ بالفن كل الأسماع والقلوب . . على مدى أجيال وأجيال .

إن بعض الناس يولدون وفهم حرارة المجد بقدر معلوم . . فيمضون في الحياة قدماً صوب قمته . . فلا تلبث الأشواك أن توجعهم وتدمى أقدامهم . . فيسقطون صرعى في الطريق الدامي . . أو ينحرفون طلباً للخلاص والنجاة . . تاثهين في الطريق

الآخر المجاور تماماً لطريق المجد . . أما القليلون الذين يصمدون من هؤلاء . . فيمضون في الطريق . . تدمى الأشواك تحت أقدامهم أحياناً . . وتتكسر الأشواك تحت أقدامهم أحياناً . . ولكنهم يصلون حمّاً إلى نهاية الطريق .

وهذا هو ما حدث لفريد الأطرش .

كنت قد حضرت من الإسكندرية إلى القاهرة في نهاية الثلاثينات ، وبتوصية من صديق لى يعرف السيدة بديعة مصابني . . استطعت أن ألتحق مطرباً بفرقتها . . وأن أبدأ فوراً في الاشتراك في استعدادهم للموسم الشتوى . . وهو الموسم الذي كان على الأبواب وقتها . . وكان استعدادهم له مجرى على قدم وساق .

ومن بين هذا الحشد الهائل من مثلين وممثلات . . وموسيقين وراقصات . ومطربين وعازفين ومطربات . . وسيم الطلعة . . نبيل القسمات . . حاد الملامح .

كان هذا الشاب هو فريد الأطرش.

وكنت أراه وسط هؤلاء . . متأبطاً عوده دائماً في فخر وثقة واعتزاز .

كان نجوم الغناء في صالة بديعة وقتها أربعة : إبراهيم حموده . . بصوته الجهورى ، وأناقته الزائدة ، وجمهوره العريض . . ثم محمد عبد المطلب . . بصوته العذب النفاذ . . وأغانيه المحبوبة ، وشعبيته الساخنة . . ثم فريد الأطرش . . بصوته الناشئ غير المستقر بعد . . ووسامته الروحية . . وأغانيه السورية واللبنانية ، وغيرها من الألوان الشعبية الفولكلورية ، وبعزفه الممتع المعجز . . ومجمهوره الذي ما زال بعد في بداية نموه .

أما رابعهم فكان سيد فوزى . الذى كنا نسميه وقتها «مطرب الطوارئ » . . فهو المطرب الاحتياطي دائماً !

وعند انضامي للفرقة عند بديعة مصابني . . كان طموحي قد صور لي بأنني سوف

أكون بغير شك النجم الأول في عالم الطرب .

ولكن التصور شيء . . والحقيقة شيء آخر .

لقد تحولت من مطرب إلى عازف عود متواضع . . وفى أغلب الأحوال كان يسند إلى بعض الأدوار الثانوية لكى أقوم بتمثيلها فى الروايات والاسكتشات .

ولم يكن فريد الأطرش يتم التعامل معه في هذا الجوكله باعتباره مطرباً . . وإنما كانت صفته البارزة فيه وقتها هي أنه عازف على « العود » . إنه ، في معظم الأحيان ، يصعد إلى المسرح لكي يقدم عزفاً بمصاحبة المطرب الأول للفرقة . . وهو إبراهيم حمودة ربما من أجل هذا كان فريد الأطرش مقلاً وقتها في ظهوره على المسرح . . بل إنه لم يكن داخلا في الرنامج الثابت والمنتظم للعمل .

وكانت السيدة بديعة مصابني تدلله . . وتخصه ععاملة متميزة . . ولا تضيق عليه لهذا تركت له حرية الظهور عند ما يشاء . . وفي الوقت الذي يريد . . إنني عرفت فيا بعد أنها تترك له – بهذه الطريقة – فسحة من الوقت لكي عارس دراسته الموسيقية والفنية في المعهد صباحاً . . وبعد الظهر عند أستاذه الموسيقار الإيطالي . . الذي كان فريد يتلقى عنده وقتها دروسه الخصوصية في الغناء .

وفى الوقت نفسه كان فريد كثير التردد على مقهى المطرب محمد العربى . . وكانت تربطهما صداقة حميمة . . فكان فريد بجلس الساعات الطوال وهو يستمع لصديقه ويحفظ عنه طريقة أداثه وأغانيه ومواويله البلدية والشعبية الأصيلة .

كان فريد من بدايته شغوفاً بالموسيقي . وبالغناء . . والرقص . . والحياة . . والناس . . والأشياء ، وكأنه كان منفذ وصية مدام « مارى كر وللي » التي تقول :

ه حاول أن تبتسم . . فإذا كنت وحيداً فى الحياة فلا أقل من أن تغنى أو تترنم
 بأحد الألحان . . مثل فى الحياة دور الرجل السعيد الذى علك مليوناً من الدولارات
 وعشرات السيارات الفارهة . . أضحك من كل قلبك . . وأحب من كل قلبك .

أحب الزهور والشمس والأمطار والبحار . . وأحب كل شيء، حتى الرذيلة والشقاء والمدموع والموت . . » !

لم تكن هناك فرص عملية كثيرة لعقد صداقة بين فريد الأطرش وبيني . . ولكن ، كانت هناك ألفة بيننا . . تنبعث من زمالة ثلاث سنوات مستمرة . . جعلت الألفة في النهاية دائمة . . والفهم مشتركاً . . والتفاهم قائماً .

كان تفاهماً مقروناً بالمحبة والتقدير والاحترام والأهم من ذلك ، بالاستمرار.

كان فريد إنساناً غير عادى فى كل شيء. . بل إنه كان مجموعة ضخمة من المتناقضات . غير أن الصفة الغالبة على كل هذه المتناقضات كانت مركزة فى جملة واحدة . . وهي أن فريد الأطرش كان إنساناً له نبل القارس . . ورقة الفنان .

إننى أذكر له موقفاً بالذات حدث معى . . وهو موقف يؤكد ما سبق أن قلته عنه في البداية .

لقد حدث ذات مرة أن عهد إلى بدور غنائى فى اسكتش غنائى عنوانه « قلم المرور » . . من تأليف الروائى المعروف الأستاذ أمين صدق ، وتلحين الأستاذ عزت الجاهلى .

وفي ليلة الافتتاح وقفت داخل المسرح استعداداً للدور . لقد ارتفع الستار رويداً رويداً . . ثم بدأ الأوركسترا يعزف المقدمة الموسيقية استعداداً للغناء . .

ولكن الذى حدث لحظتها هو أننى لم أعثر على بداية اللحن ، الذى تبخر تماماً من رأسي . إنني - فجأة - لم أعد أذكر منه جملة واحدة على الإطلاق !

ولك أيها القارئ العزيز أن تتصور موقفى . . ومدى الورطة التى وقعت فيها . . والارتباك الذي أحسست به . . وأنا اقف أمام الجمهور وجهاً لوجه .

لقد راح الأوركسترا يكرر اللازمة الموسيقية مرة بعد الأخرى . دون جدوى . إنني حاولت وحاولت أن أخرج من تلك الورطة . . بلا فائدة . لقد أصبحت واقفاً

ف جمود يغلبني الذهول . . وتسيطر على المفاجأة . ويتصبب العرق فوق وجهى .
 بغير أن أنجع ف أن أقول كلمة واحدة !

وبينها أنا على هذا الحال . . إذ بي أسمع فجأة صوتاً قادماً من خلني . . يدس لى ويصب في أذنى بداية اللحن . . !

وفوراً . . استطعت أن ألتقط منه البداية . . وبدأت أغنى . . والصوت خلفي مستمر في مساندتي . . إلى أن انتهيت من الغناء بسلام . .

وفى النهاية ، عند نزول الستار ، رحت أتلفت حولى . . وإذا الصوت القادم من الخلف هو صوت فريد الأطرش . . الذى رأيته ما زال مستمراً فى وقفته . . غارقاً فى الضحك . قائلا لى مداعباً : « علقة تفوت ما حد عوت با أبو حنق » !

إن تلك الصورة الإنسانية تقفز إلى ذهني فوراً . . بمجرد أن أتذكر فريد الفنان الإنسان الفنان .

إن فريد لم يلحن لحناً واحداً فى حياته لفرقة بديعة . . فلم يكن هناك تسليم بعد عوهبته الموسيقية . ومع ذلك كنت تراه يحتو على – ويرعى – جميع الألحان التى تؤدى على المسرح . . وكأنها جميعاً من تلحينه ، إنه – إذا لم يكن يعزف يعوده فوق المسرح – كان هناك دائماً بين الكواليس . . مساهماً بصوته . . مساعداً للجميع . . ومشجعاً لهم . . بروح سخية وقلب كبير . . مدفوعاً بحبه للفن . . الذى أعطاه عمره فوهبه الخلود .

إننى أذكر أن فريد الأطرش جاء ذات مساء . . وفى يده نوتة من قطعة موسيقية . . وذهب بها إلى ومسيو دافيد ، رئيس الأوركسترا . لقد وضع النوتة أمامه . . وطلب منه أن يعزفها . . وكان ذلك وقت الاستراحة .

وسمعت السيدة بديعة العزف . . ولم تتمالك نفسها من فرط المتعة . . فأسرعت وراحت تسأله : ما هذا با فر بد ؟ رد فريد عليها قائلا : هذه أحدث موسيق لأحدث رقصة ظهرت في العالم ليوم .

كانت الرقصة حديثة جداً فعلا ، وكان اسمها « لاكو كارتشا » وقد أصر فريد لأول مرة على أن يقوم بدور الراقص . . وأن يقدمها للجمهور فى شكل ثلاثى يشترك هو فيه مع السيدة بديعة . . ومع مدرب الرقص « مسيو إيدى » .

وفعلا ، كان هذا هوما حدث ، وقد لاقت الفكرة نجاحاً منقطع النظير .

كان فريد فناناً عنيداً طموحاً لا يعرف اليأس ولا التردد ولا يعترف بالمستحيل . كان يتخذ من عمله وسيلة وهدفاً ومتعة يعوض بها كل شيء آخر . وكان لديه الإصرار على الاستمرار . . برغم المرارة التي كان يحس بها بسبب المناخ الذي يعمل فيه وهو غير راض عنه . . والذي وجد نفسه مضطراً لأن يعمل فيه من أجل لقمة العيش .

إن البلابل المغردة لا بد أن "بهط من السهاء لكى تمرغ أنفها فى التراب والطين تبحث عن طعامها . وبرغم أنها تحلق فى الفضاء وتسبح بين السحاب والغمام فإن لها هى الأخرى لحظاتها من اليأس والتردد والتوقف عن الغناء .

ولكن فريداً لم يتوقف أبداً عن الغناء .

لقد كان بطبعه سهلا متسامحاً لا تغير صفاءه الأمور . . متواضعاً إلى أقصى درجات التواضع . . الفن عنده رسالة ومسئولية وكرامة . إن كرامة الفنان عنده مصونة لم تمس . . ما دام الفنان لا عد يده لأحد .

ولم يكن فريد ، رغم تعلقه منذ بدايته بالغناء ، يرى أى غضاضة فى أن يقوم بدورالعازف على العود لمن هم أقل منه شأناً . . ما دام يريد ذلك .

ولقد كانت لديه قدرة كبيرة على إخفاء ألمه وكظم غيظه . . لكن بشرف وبغير حقد ولا حسد ولا رياء . . وذلك هو الذى جعله يرتفع فوق كل ما صادفه فى حياته من نكسات وفواجع . إن فاجعة واحدة فى حياته – هى موت شقيقته المرحومة أسمهان –

كانت وحدها كفيلة بتحطيمه إلى الأبد . . وبخاصة أن أسمهان لعبت دوراً حاسماً في شق طريق المستقبل أمام فريد في بدايته .

ولكن فريداً ضرب ، فى تحمله لتلك الفجيعة ، المثل على صدق القول المأثور : إن العبقرى هوالذى يتأثر من البؤس بالعمل . . ومن الحب بالفن . . ومن المرأة بالمجد . . ومن الموت بالحياة . .

وقد لا يعرف الكثيرون أن بعض عمالقة العازفين الآن كانوا يعملون فى تلك الفترة ، – وما تلاها – عند بديعة مصابنى . . خصوصاً عند ما قرر فريد أن يغنى فى حفلتى الماتينيه كل أسبوع . من هؤلاء العازفين الأساتذة أحمد الحفناوى . . وأنور منسى . . ويعقوب طانيوس . . وإبراهم عفينى . . وغيرهم . ولقد ظل فريد على وفائه لهم – وصداقته معهم – بعد أن شق طريقه أخيراً بعيداً عن كازينوبديعة . . بالحفلات الشهرية فى الإذاعة وغيرها . . وفى جميع أفلامه السيائية التى أنتجها . . كان دائماً يتمسك جم . . من أول لحظة حتى آخر لحظة فى حياته .

ولقد كان آخر ما غناه فريد على مسرح بديعة هو اشتراكه كواحد من ثلاثى يضم بديعة وإبراهيم حمودة باسم « الدكتور والمحامى وبدعدع » !

وكانت أول فرصة فنية حقيقية لفريد . . وهى الفرصة التى كشف فيها عن مواهبه الفدة كعازف عود . . عندما قدم الأستاذ مدحت عاصم «الفرسان الثلاثة » . . وهى معزوفة بأساليب هرمونية وكونتر باصية . . لم تكن قد دخلت بعد إلى عالم الغناء العربي .

وكان « الفرسان الثلاثة » هم فريد الأطرش . . وفريد غصن . . ومدحت عاصم . وقد تلى ذلك الحفل الذى أقامته الإذاعة عند قاعدة الهرم . . وقدمت فيها فقرات ترفيهية وفنية مختلفة . وكان نجم الحفل هو فريد الأطرش عندما غنى « عشك يابلبل دا جنة » وغيرها من الأغانى الحديثة في ذلك الحين .

وكانت آخر كلمة قالها فريد لبديعة عندما اختلفا معاً بسبب امتناع فريد عن السفر مع الفرقة إلى شال أفريقيا هي : اسمعي . . الفن له كرامة . . وأنا شاب على أبواب الحياة . . وكرامتي في الذروة .

وبذلك بدأ فريد سلم المجد . . عندما انطلق فى عالمه الرحيب . . لكى يقدم للعالم العربى أروع الألحان وأعذب الأناشيد وأحلى الأغنيات . . ثم شارك فى نهضة السيما بإنتاجه الرفيع . . حتى أصبح علماً من أعلام النهضة الفنية ورائداً من أعظم الرواد الذين أثر واحياتنا الموسيقية والغنائية .

ومع ذلك كله . . فإن أى تقييم لفريد الأطرش لا يمكن بأى حال أن يغفل من حياته الأثر الفنى والإنسانى . الذى تركته فيه تلك الفترة الأولى المبكرة من عمله مع فرقة بديعة مصابنى .

وإذا لم تكن لتلك الفترة أية ميزة سوى أنها أكدت إحساسه بذوق الجمهور . . فإنها تكون قد حققت في حياة الآخرين الذين بدءوامع فريد البداية نفسها .

أما القيمة الفنية الحقيقية لفريد الأطرش فلم تبدأ طبعاً إلا مع خروجه من فرقة بديعة مصابني . .

لقد كان أول لحن حقق له النجاح والانتشار معاً هو لحنه المشهور « ليالى الأنس في فيينا « . . الذي غنته أسمهان في فيلم « غرام وانتقام » .

كانت أسمهان هى فى الواقع نموذجاً رائعاً للأخت التى تشغل نفسها تماماً بمستقبل أخيها . . لقد كانت هى أكثر من أحس بفريد وفهمه وعرف تماماً حجم موهبته . . وبالتالى حجم الفرصة التى يحتاج إليها إخراج تلك الموهبة إلى الناس .

كانت أسمهان موهبة صوتية فذة . . وكانت تمثل فعلا لوناً صوتياً وغنائياً متميزاً ، لم يألفه الناس من قبل ، مع أنهم بمجرد أن يسمعوا غناءها كانوا يألفونها فوراً . . إن

أسمهان المطربة كانت تشجى الناس حقاً . . وتؤثر فيهم تماماً . . ومن يسمعها مرة . . لم يكن يقدر له أن ينساها بعد ذلك مطلقاً .

وقد ساعدت أسمهان أخاها فريداً مرتين : مرة بصوتها الناجح الممتع المنتشر . . ومرة بحجم الفرص التي كانت تقتنصها لفريد وتدفعه هوأيضاً إلها .

من أجل هذا كانت خسارة فريد يموت أسمهان خسارة مضاعفة . إنها خسارة عاطفية لأخت . . وفوق ذلك خسارة عاطفية لشريكة فن ومستقبل .

وكما ذكرت من قبل ، فإن فريد استطاع مع الوقت والإرادة ، أن يتغلب على ثلك الفجيعة الشخصية ويدفنها في داخله . . منطلقاً لتحقيق ذاته في المجال الفني العريض والخصب الذي انشق أمامه وشقه لنفسه .

إن موهبة فريد الموسيقية ، التي اعترض كثير ون عليها في البداية ، قد بدأت مع العمل والنجاح والزمن تتألق تماماً . . بحيث إننا نعلم جميعاً مدى النجاح الشعبي الذي حققته ألحانه مثل « أول همسة » و « الربيع » و . . أخواتها .

ور بما تكون تلك الأغانى هى من الحالات القليلة فى الغناء العربى التى لم ينتقص الزمن من حلاوتها ولا من عذوبة موسيقاها . بل أضاف إلها جمالا فوق جمال .

أما فريد كصوت يطرب الأسماع والأفئدة . . فلقد كان يتميز فى الواقع بصفات ممتازة كثيرة . . لم يكن يقلل منها طابع الحزن الذى اتسم به سنوات طويلة .

إن المستمع يستمع إلى صوت يغنى لأنه يعطيه فى الحقيقة متعة معينة : إنه يشعر بالفرحة معه . . أو بالتفاؤل . . أو بجمال الدنيا . . أو بأشراق الحياة . . . أو بحلاوة المستقبل . . أو بالنشوة . . أو بالمرارة . . وفريد الأطرش لم يكن يتعمد المرارة فى صوته وأغانيه ، لقد كانت المرارة موجودة فعلا ، و بأحجام كبيرة ، فى حياة فريد . إنه كان يحاول طبعاً التغلب عليها . . عن طريق النوع الخاص من الحياة الذى اختاره لنفسه . . حياة فيها من المتعة والانشراح والغرام والحب والتفاؤل والتسلية واللهو ما يجعل الإنسان

يتساءل فى النهاية : متى إذن يجد فريد الأطرش وقتاً للعمل ؟ أو . . من أى ثقب في حياته الصاخبة خرجت كل تلك الأغاني والألحان والاستعراضات ؟

ولكن . . ذلك كان مجرد واحد من المتناقضات الكثيرة التي احتشدت بها حياة فريد الأطرش ، منذ نفس اللحظة الأولى التي عرفته فيها .

ومنذ عرفت فريداً كعازف ومطرب وملحن موهوب . . فإنني عرفت فيه أيضاً «المستمع الموهوب» ! إنه يعرف بالضبط - بإحساس الفنان الحقيقي - كيف يستمع الأعمال غيره . . وكيف ينفعل بها بغير أن تؤثر هي عليه . . وكيف يرى فيها نواحي الجمال والمتعة قبل أى شيء آخر . إنه لم يكن بجد غضاضة أبداً في أن يعترف لغيره مرة بأنه تفوق عليه . . أو بأنه بلغ القمة في عمل من الأعمال . . ذلك لأن فريداً في داخله لم يكن غيوراً بأى حال من الأحوال . . ولا كان حاقداً أو شريراً أو خبيئاً . . وبعكس هذا كله . . كان فريد طيب القلب دائماً . . نقي الضمير دائماً . . صافى النفس دائماً . .

9 **4** 9

وأخيراً . .

إننى لا أظن أن هناك من ينكر أن الذين جاءوا بعد سيد درويش قد أضافوا الكثير. . وعمقوا الكثير . . وقدموا الكثير . . وطور و ا الكثير . .

ولسوف يأتى غيرهم . . لكى يضيفوا ، ويعمقوا ، ويقدموا ، ويطوروا الكثير أيضاً . . فن غير المعقول إدن أن يقف التقييم الموسيقى أو الفنى عندنا . . عند سيد درويش . . وإلا فإن معنى ذلك هو الحكم من الآن باستحالة تطوير الغناء العربى أو تجديد الموسيقى الشرقية .

وليس من شك فى أن الذين جاءوا بعد سيد در ويش لم يكونوا بأى حال من الأحوال نسخاً منه . . ولا كانوا صدى لأحد ممن سبقهم . . إنهم - فى الحقيقة - استطاعوا أن يقفوا بفنهم إلى جانب من سبقوهم بما قدموه من أعمال جديدة تحمل لون وطعم ومذاق وإبداع جيلهم هم .

وفي هذا المجال . . فإن فريد الأطرش هو بغير جدال واحد من هؤلاء . .

محمود الشريف



من قست ل فرير الأوطريسي ؟!

بقلم: جورج إبراهيم الخورى

الأستاذ جورج إبراهيم الخورى هو الصحنى اللبنانى المعروف . . ورئيس تحرير عجلة ه الشبكة » . . والصديق الذى اختارته نقابة المحررين فى لبنان لكى يتحدث عن المرحوم فريد الأطرش .

وقد حالت ظروف الأستاذ جورج إبراهيم الخورى من الحضور إلى القاهرة بنفسه . . فأرسل إلينا هذا الفصل من بيروت . . حرصاً من جانبه على المساهمة فى هذا الكتاب . . وتجاوباً مع الفكرة التي تحرص عليها لجنة تكريم الموسيقار فريد الأطرش .



شرف لى أن أكتب في هذا المقام عن فريد باسم نقابة المحررين اللبنانيين . وشرف أن ترتفع إلى هذا المقام نقابات الفن في لبنان .

وشرف أن ترتقي هذه الرفعة إلى سدة تكريم من كنت أشتىي أن يكون تكريمه في حال حياته ، ولكن . . .

كم قتلت وكم قدمت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن قد كان شاهد دفتى قبل قولم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا ماكل مايتمنى المدرء يدركه تجرى الرياح عالا تشتى السفن

أبو الطيب المتنبى سبقنا زمناً فى التمنى اليائس ، حتى ذهب يأسه مثلا وحكمة . . ولو أنه عاش فى عصر الأمير الفنان فريد الأطرش ، لا فى عصر الملك الأستاذكافور ، لما توانى عن إنشاده :

وما طربي لما رأبتك بدعــــة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب وتعذلنى فيك القوافى وهمتى كأنى عدح قبل مدحك مذنب ولكنه طال الطريق ولم أزل أفتش عن هذا الكلام وينهب فشرق حتى ليس للشرق مشرق وغرب حتى ليس للغرب مغرب

كان أميراً وكان أستاذاً . . أمير أصل وفصل وحسب . . وأستاذ فن وعود لرب . .

وحبنا له نحن هنا فى لبنان ، لم يكن فقط حب أذن لصوت ، أوحس لوتر ، أو قلب لحب ، بل كان أقوى وأوثق وأعمق جذوراً . كان – وقد ندرى هذا أو لا ندرى – حب العرق للعرق ، والعصب للعصب ، والدم للدم .

إن فريداً الأطرش كان لكل العرب ، ولكنه كان في الأصل لبنانياً .

كان من جبل لبنان قبل أن يسترد جنسيته الأصلية بهوية تتعانق فوقها أرزة الرب ! الأمراء الطرشان فى الجبل الأشم . . جبل الدروز الأجاويد . . هم كما يقول مؤرخوهم من الأمراء المعنيين . . من سلالة الأمير اللبنانى البطل فحر الدين المعنى . .

وقد نزح الأمراء المعنيون عام ألف وسبعمائة ، منذ مائتين وخمس وسبعين سنة ، إلى سورية الحبيبة . . واستوطنوا جبل العرب الذى تفجرت منه ينابيع الأحرار والرجال والأبطال . .

من صلبهم انحدر أول موسيقار لهم يحمل اسم عائلتهم النبيلة . . وللحق والعدل والتاريخ نسجل أن أمراء الجبل كانوا متحفظين في الخط الذي انتهجه ابنهم في طريق الفن

فالفن لم يكن يتفق في مطلع هذا القرن مع الأعراق والرصانات والتقاليد . لكن

الأمير الشاب فريد الأطرش الذى ولد الفن فى دمه . . كما ولد الطموح والانقشاع واستباق الزمن . . أصر وغنى واحترف . . .

عندئذ انعقد مجلس العائلة العريقة . . وقرر مراقبة فريد فى حقله الجديد . . حتى إذا ما حافظ على مستواه ومستوى الجبل . . باركوه . . وإلا حاسبوه . . . وبعد سنوات باركوه وعانقوه وجللوه بأكاليل الغار . . . كان فريد يفاخر بالإنتساب إلى جبل العرب ، فإذا بكل الجبال العربية تفاخر بالانتساب إليه .

خلق ونبل وشهامة عربية .

ونبوغ وتصور وعبقرية موسيقية .

وعطاء واقتدار وقيمة فنية .

ولو ساد العقل فى الناس لما كان الرسل الأنبياء . . ولو سادت الحكمة لما كان الفلاسفة والحكماء . . .

ولو ساد الفن الرفيع . . لما كان فريد الأطرش . .

ولماكنا هنا نحبي ذكراه . .

ذكراه ياما أمرها على قلوب الذين يتذكرون . .

فالذكري أخت الرحيل . . .

والذكرى بنت الغروب . . .

والذكرى أم الغياب . . الغياب الأبدى .

ولكن ، هل يغيب من نسمع صوته فى كل الأقطار ؟

هل يغيب من نطرب لشدوه على جميع مرجات الأثير ؟

هل يغيب من تتردد ألحانه على سائر الحناجر ؟

هل يغيب من ترتسم صورته على صفحات الصدور ؟

هل يغيب من خلد الشرق في موسيقاه ، وفتح للفن معاهد الجمال ، وشق للغناء

دروب الأزل ؟

هل يغيب من هدم بفنه كل السدود ، واجتاز بصوته كل الحدود ، وجعل من بلاد العرب جامعة « عربية » حقيقية ، تلتق كلها في المعهد الموسيق ؟

هل يغيب من سقاه فنه من تربة كل أرض سمراء ، فإذا هو حامل جنسية روحية من كل بلد عربى ، وحامل جنسية رسمية من سوريا ومصر ولبنان والسودان ؟ مثله لا يغيب .

ومثلنا يفاخر الأجيال بأنه عاش في عصر فريد الأطرش.

عايشناه حياً ، وعايشناه راحلا . . . حي الجسد والروح ، وراحل الجسد وحده . نحن سعداء مهذه المفاخرة التي وفرها لنا الموسيقار الكبير الواحل .

ومن عجب الدنيا أن تنبثق السعادة أحياناً في معرض الحزن . . وينبثق الحزن في معرض السعادة .

0 0 0

فباسم نقابة المحررين اللبنانيين .

وباسم نقابات أهل الفن فى لبنان .

و بإسم كل من يؤمن بالفن و برسالته السامية .

نطالب الدولة هنا – فى لبنان – بأن تقيم لفريد الأطرش فى لبنان تمثالاً . . وإذا أردنا التحديد ، فليكن هذا التمثال على مدخل المربع العالى ، مربع البيسين فى عالية . . فى عروس المصايف التى طالما أسهم فريد الأطرش فى إنعاشها وازدهارها وإحيائها .

هناك على تلك الرابية . . يرتفع التمثال . . وهنا على هذا المنبر . . تنتصر الكلمة وهي تعظم فناناً رفع للجمال في كل قلب مثالا ، واختار لبنان . . وطنه الأصلى الأصليل . . ليكتب فيه آخر كلمة من كلمات حياته وآخر حرف من حروف

خلوده ، بعد أن اختطفه منا الموت .

ولقد بدأت رحلة فريد الأطرش مع الموت . . . قبل أن يموت فعلا بشهرين ! فقبل وفاته بشهرين كان فى القاهرة يمثل آخر لقطات فيلمه الجديد « نغم فى حياتى » فى إحدى فيلات شارع سلمان باشا . . عندما قال له المخرج هنرى بركات : - يجب أن تستبدل بنطلونك هذا ببنطلون آخر . وخلع فريد بنطلونه ، ثم نزع منه كل مايحتويه من نقود وأوراق و مصحف صغير موضوع فى كيس ذهبى اعتاد أن يدسه فى الجيب الأمامى ضماناً لحفظه وصيانته وعدم ضياعه . ومثل ماتنطلبه اللقطات ، وعاد إلى الطاولة ، ثم ارتد صارخاً : طار المصحف .

وتقدمت منه صديقته ورفيقته ومديرة أعماله دينيز جبور . . وقالت له :

- مابك تصرخ ؟

قال وهو ينقب في الطاولة وتحتها وحولها .

المصحف بادنيز ، تركته هنا !

وبحثت دنيز عن المصحف فلم تجده . . . وسألت عنه جميع العاملين في حقل تلك الفيلا ، فلم تلق رداً . . .

لقد امتدتُ إلبه يد خفية وسرقته . . . وأطرق فريد وهو يلهث ، ثم بدت على وجهه المتجهم علامات التشاؤم وهو يقول . . .

خلاص . . . انتهى الأمر!

وقالت له صديقته:

ماهو الأمر الذي انتهى ؟

قال فريد وقد لمعت عيناه الغائرتان ببريق دمع:

كان هذا المصحف ضمانتي وحرزى وصلاتى التي تبعد الشر عنى . . . أما الآن فقد أصبحت بلاسلاح مقدس .

قالت الصديقة:

- لاتخف . . يكني أنك مؤمن بالله .

ولم بجب . . بل لملم نفسه ومشى . . كان هذا المصحف المبارك الشمين هدية عزيزة على قلب فريد ، من سامية جمال . . أهدته إياه منذ محمس وعشرين سنة ، يوم كانت فى قمة حبها له . . . قالت له ذات ليلة من ليالى البحث عن تتويج ذلك الحب الكبير بالزواج .

لا أملك أثمن من هذا المصحف لأقدمه لك عربون حب ووفاء . . احفظه
 بافريد . . لأنه يقيك من كل الشرور .

وحفظه فريد الأطرش طوال خمس وعشرين سنة . . لم يتركه يوماً واحداً . . وكان كلما اشتد به الأنم وأحدق الخطر وعصف الشر أمسك بالمصحف وأغمض عينيه وهتف : يارب .

ويشعر إذ ذاك بقوة جبارة تتسلل إلى جسده فتشد أزره وتبعد عنه المخاوف والهواجس والأخطار .

والأن ، وبعد ماضاع المصحف أو سرق أحس فريد بما كان قد أحس به شمشوم الجبار إذ قصت دليلة شعره .

وتشاءم الموسيقار المؤمن وأطلق كلماته الثلاث الرهيبة :

(خلاص . . . انتهى الأمر)

آخر كلمات قرأها .

ومن يومها تبدل إحساس فريد الأطرش بالحياة . . . وكان كلما مد يده إلى جيبه الصغير باحثاً عن المصحف الضائع ، تمتم بصمت : ياساتر يارب .

. . إلى أن كانت رحلته الأخيرة إلى لندن .

لقد حان موعده المحدد في لندن العاصمة البريطانية التي كانت تحمل بلسم

الشفاء لفريد فقرر أن يرحل في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني الماضي ،

وليلة سفره اتصل بنا نحن النخبة من أصدقائه وقال لنا:

ألا تأتون لتودعوني ؟

قلنا له :

لقد جمعنا أنفسنا وقررنا السهرة في بيتك هذا المساء لنودعك . .

واستراح على التليفون وقال بحبور :

ياالله . . .

كانت المرة الأولى التي يطلب فيها فريد من أصدقائه الحميمين أن يودعوه . . كان قلبه دليله . . وكان في داخله صوت يدوى ويقول قد تكون هذه هي رحلتك الأخيرة يافريد . . . وساهرناه في بيته .

ولاطفناه وسايرناه واستدرجناه فى قصصه الخاصة التى رواها بكثير من السلاسة والإثارة والتفاصيل الدقيقة . . الأمر الذى حمل أستاذنا الكبير سعيد فريحة على أن يقول له :

- أنت أخطر سينارست رأيته في حياتي .

وما إن حلقت به الطائرة حاملة إياه مع رفيقته الدائمة دنيز جبور إلى لندن ، حتى كان صاروخ الشبكة يوجه إليه القذيفة التالية :

عزیزی فرید:

مساء الأربعاء الماضى سهرت فى بيتك الأنيق الذى تفوح من كل ركن فيه رائحة الفن . لأودعك ليلة سفرك إلى لندن فى رحلة سنوية تقليدية تعرض قلبك خلالها على صديقك البروفسور جيبسون ، وكان فى بيتك كل الذين تحبهم ويحبونك وهم نخبة مختارة من صفوة الأصدقاء والأقرباء والأحباب ، ومع أنك كنت متعباً ومرهقاً وخارجاً لتوك من أزمة صحية مداهمة استوجبت استدعاء طبيب إلا أنك سهرت وسايرت ورويت

قصصاً استدرجت أقاصيص . .

وأنت والحالة هذه . . أشرق وجهك وشعت ابتسامتك وبدوت وكأنك أنت السليم المعافى ونحن المرضى . . بك وبحبك وبشخصيتك الحلوة !

وأنا واثق من أن الدكتور جيسون لن يقول لك أكثر مما قاله فى السابق : عش كما أنت . . فأنت مثل لبنان . . فوضي منظمة . .

وأعتقد أن سر عمرك كله يكمن في حبك للحياة ، وللناس ، وللأصدقاء بنوع خاص . . بينهم تحيا ، وبينهم تنتعش ، وبينهم تنسى قلبك ولكنك لا تنسى حبك وعطاءك وتضحيتك الدائمة .

من قلبي أتمنى لك عودة ميمونة إلى لبنان وإلى أهلك وعشيرتك وجماهير الشعب العربي الذي منحك كل هذه القدرة على الحياة .

وألف نقرة على خشب الورد .

وقرأ فريد القذيفة فى لندن كلينك وفرح بها . . أسعده أن يذكره محبوه فى غيابه كما يذكرونه فى حضوره . . وكان أكثر مايؤله ويعذبه و عزق قلبه فوق ماهو مجزق أن يغدر به صديق كان يحسبه وفياً .

أقول هذا لأسجل أن فريداً كان سعيداً بآخر كلمات قرأها في حياته وكانت هذه الكلمات من قلب الشبكة .

نصف القلب تعطل ، ،

لكن السعادة الروحية التي وفرتها له الشبكة لم تلبث أن تبددت ليحل محلها الضيق والتبرم والثورة الجامحة . .

تضايق فريد في لندن كلينك فتركه وتوجه إلى أوتيل هيلتون وهو في أقصى حالات المرض . . . ثم مالبث أن سارع باستدعاء طبيبه المزمن جيسون الذي نقله فوراً إلى

برومبتون هو سبيتال . . . وأخضعه من جديد للفحص الدقيق . . . وهز الطبيب رأسه يأساً وقال له . . كنت تعيش بنصف قلب وها هو نصف النصف قد تعطل . . بت تعيش ياصديقي بربع قلب .

وتقول دنيز جبور :

وصعق فريد . . وازداد ارتباكه عندما تركه جيبسون مع مساعديه ليذهب إلى ألويك أند . . يذهب مساء الجمعة ولا يعود إلا صباح الاثنين تاركاً مريضه الموسيقار العربي الكبير في حالة الخطر .

وتضيف دنيز:

والأخطر أن جيبون منع عن فريد حبوب الديكوكسين التى تشد عضلات القلب طوال خمسة عشر يوماً . . لماذا . . لستأدرى كل ماأدريه أن حالة فريد الصحية والنفسية قد انهارت ثماماً .

وأكثر - تستطرد دنيز - دهمت فريد نوبات بكاء . . . كان كلما لمح الدواء في يد الممرضة بكى كالأطفال . . وصرخ : ارحموني . . لم أعد أحتمل أي دواء . . وكان كلما أرخى الليل سدوله . . ورحل الزوار . . استسلم للبكاء والنحيب . . وكان كلما تلمس المصحف الشريف الذي أضاعه في القاهرة سالت من عينيه الدموع وهتف : ياساتر يارب .

0 0 0

وأخيراً . . قال الدكتور جيبسون لدنيز . .

أنصحك بإرجاع فريد إلى وطنه . . وفهمت دنيز . . فهمت أن جيبسون نزع يده من فريد وأنه يفضل له أن يموت فى بيته وبين أهله وأقربائه وأصدقائه على أن عوت فى عاصمة الضباب التى لا أهل فيها ولا أقرباء ولا أصدقاء .

ثلاث سهرات وحلم مرعب . . .

وودع فريد الطبيب البريطانى الذى تعرف عليه منذ ثمانية عشر عاماً بقلب كامل ولوعليل وتدرج معه إلى نصف قلب . . ثم إلى نصف النصف ثم إلى دقات بطيئة مثناقلة . . . كأنها دقات الطبول الحزينة في مجاهل الموت .

وفريــد لا ينام . . . إنه صديق الليل وعدو النهار . . فإلى أين يذهب وكـل مافى لندن يغرى بالسهر . . ؟

ولأنه يحب أن يتسلى فقد ذهب إلى نادى بالم بيتش . . فلا شيء يخفف عن فريد ثقل الحياة مثل اللعب . . إن اللعب ينسيه مرضه . . ويعزله عن العالم الخارجي . . ويسكنه في بيت معلق تدور فيه « بلية » بيضاء حول سبعة وثلاثين رقماً مع الصفر . . اسمها الروليت . .

سهر هناك حتى الصباح . .

وطوال ثلاثة أيام سهر حتى الصباح . . ولم يبال بالخسارة سواء كانت بسيطة أو فادحة لأن فريداً لا يلعب ليكسب . . بل ليتسلى . . وفي اليوم الرابع لم يتسل بل نام في الفندق نوماً عميقاً تخلله حلم مرعب .

حلم بأن المرحومة أمه السيدة علياء المنذر تتدثر باللباس الأسود وتبكى عليه . . و بالقرب منها تقف شقيقتها السيدة طرب بالحجاب الأسود وتشاركها البكاء .

وصحا من النوم مذعوراً وهو يروى لدنيز مارآه فى الحلم ويحاول أن يطمئن نفسه ويقول . . ولكن أمى لن تأخذنى إليها . . قالت له دنيز وهى تهدى من روعه :

لاتخف ، كلنا نحلم ، ولا يتحقق شيء من أحلامنا . . .

ولكنها لن تأخذنى إليها . .

- خيراً إن شاء الله . . يبدو أن نفسها تطلب الرحمة . . فصلى لأجلها . .
 - دعینا نسافر ، أرید أن أرجع إلى بیتى . .
- وفى الطائرة التي كانت تنقله من لندن لتعيده إلى بيته فى لبنان . . تردد على لسانه عبارة واحدة فقط :
 - يارب أوصلني إلى بيتي . . ارحمني ولا تدعني أمت في طائرة !
- وكانت دنيز تكفكف دموعها الصامتة . . وتشاركه النداء في سرها . . ثم تبتسم وثقول :
- كل عمرك وأنت تطلب من ربك ألا يميتك فى طائرة أو فى سيارة أو فى شارع فلا تخف . . إن الله يحب الذين يسبحونه بأصواتهم الجميلة . .
- أنت تعرفين أن من أقدس أمانى أن أموت على المسرح أمام الجمهور الحبيب . . ولكنى الآن في طائرة . . وكل ما أرجوه أن أصل إلى بيتى حياً . .
- هل تسمح بأن تخلصنا من الحديث عن الموت . يقطع الموت ويقطع ساعته . . وأطلق فر مد زفرة حرى من أعمق أعماق صدره وقال لدنيز :
 - يادنيز . . . إن أيامي معدودة . .
 - قالت دنيز:
 - بعيد الشر . . .
 - أعطيني أيضاً حبة إيزورديل . .
- يكنى إيزورديل . . تناولت حتى الآن ست حبات . . وحبة واحدة توسع شرايين القلب . . فكيف بنصف درينة ؟
 - أعطيني حبة سابعة نفسي يضيق في صدري .
- وأعطته حبة سابعة . . واستجاب الله لنداء فريد فحطت الطائرة بمطار بيروت يوم الأحد و وصل سالماً إلى البيت .

إلى سن الفيل ، ،

وفى البيت كانت خطيبته السيدة سلوى القدسى تحيط به وترعاه وتشرف على راحته . لكنه لم ينم فقد انتابته أزمة ألم شديد كادت تمزق صدره تمزيقاً . . لقد تضخم القلب كل التضخم . . ومع القلب تضخم الكبد . . واحتلك القلب بالكبد فسبب الألم الشديد .

وجاء الدكتور إبراهيم الحجار . . وأمره فوراً بالانتقال إلى المستشفى القريب مستشفى الحايك فى سن الفيل . . ورفض فريد . . لكن الطبيب أصر . . . فقال له فريد . . .

إذا أدخلتني الاثنين فمتى تخرجني ؟ وفكر الطبيب قليلا . . وقال – الخميس . . . وقبل فريد . .

وفى الجناح رقم ٢٠٢ بمستشفى الحايك دخل الدكتور حجار فى صراع مع الموت ، محاولا إبعاد شبحه الرهيب عن الموسيقار الصديق . .

يوم الاثنين كان يوم الخطر المدلحم . . فقد توقفت كلينا فريد عن العمل . . وتعبأ جسمه بالماء . . فرق التضخمين القاتلين . . تضخم القلب وتضخم الكبد . . وأيقن الطبيب أن الحالة خطرة جداً . . ولم ينكر هذه الحقيقة الأليمة عن خطيبة فريد ورفيقته وذويه وفي مقدمتهم شقيقه منير ، وقريبه السيد رياض جنبلاط زوج السيدة كاميليا ابنة المرصومة أسمهان . . وقرروا استدعاء الأخ الأكبر الغائب في الكويت السيد فؤاد الأطرش . . الذي ذهب من القاهرة إلى درة الخليج ليحتفل بعيد الأضحى مع بعض أصدقائه فتولى منير أمر الأتصال التليفوني به واستدعاءه على جناح البرق . .

لكن الطبيب اللبناني المشهور استطاع بعلمه وبراعته أن يبعد الألم عن فريد . . .

ويجعله ليل ذلك الاثنين . . ينام حتى الصباح . .

ويوم الثلاثاء تحسنت صحته ولكن الزيارات ظلت ممنوعة عليه . . سلوى القدسى ودنيز جبور وحدهما ، كانتا تملكان حق الدخول إلى جناح الموسيقار العليل . يوم الأربعاء أشرق وجه فريد فرفع الطبيب بديه إلى السماء وقال: معجزة .

ثم اقترب من منير الأطرش وقال له :

اجعلوا تاريخ ٢٣ من كل شهر . . عيد ميلاد جديد لشقيقكم فريد . . ويوم الخميس صحا فريد تماماً . . ولكن أحداً لم يكن يعلم أنها صحوة الموت . قال لشقيقه فؤاد الأطرش الذي وصل لتوه من الكويت .

- اذهب إلى السينما واحضر فيلمى الجديد « نغم فى حياتى » وأعطينى رأيك الصادق به . . احضره أنت لأن القدر ضن على بحضوره مع الجمهور . . مساء الاثنين أدخلوني إلى المستشفى ولم يأخذوني إلى السينما . .

ونظر فرید إلی صدیقه روبر خیاط . . وسأله عن أغانی الفیلم الثلاث حبینا حبینا ، علشان مالیش غیرك ، ویاحبایبی یاغایبین . فقال له .

- أنزلناها اليوم إلى الأسواق . . وتطلع إلى طبيبه الخاص وقال له :

وعد تنى أن تخرجني من المستشفى يوم الخميس . . واليوم هو الخميس . . فلماذا لم تف بوعدك ؟

أجاب الطبيب . . لن أخرجك من هنا قبل آخر السنة . . اهدأ ودعني أعمل وأتكل على الله . .

آخر الوجوه والكلمات:

وفى تمام الرابعة من بعد ظهر الخميس الواقع فى ٢٦ كانون الأول ١٩٧٤ تسلل شبح الموت إلى جناح الموسيقار الكبير فريد الأطرش فى مستشفى الحايك بسن الفيل.

كان في جناحه وجهان حبيبان . وجه سلوي القدسي و وجه رياض جنبلاط .

أما دنيز جبور فكانت قد ذهبت إلى مطار بيروت لتسأل عن حقيبة فريد الضائعة إنها حقيبة تحتوى على جميع التقارير الطبية والصور بالأشعة التي أخذت لفريد في لندن . . لقد ضاعت هي الأخرى مابين لندن وبيروت ولم يجدوها حتى الآن . . قال فريد لسلوى :

إنى جائع ،

فتقدمت منه وفى يدها كاسة مهلبية و وضعت بفمه ملعقة . . ولكنه لم يقو على تقبل ملعقة ثانية .

قال لسلوى:

عاد الألم إلى صدرى . . إنى متضايق . .

وأسرعت سلوى تستدعى الممرضة الفرنسية التي جعلوها راعية لفريد . . وتتصل تليفونياً بالدكتور حجار . .

واقترب رياض جنبلاط من فريد عسكه بيديه . . فقال له :

- إننى متضايق يا رياض أنقذونى !
 - ما بك ؟ عاذا تحس ؟
 - بحرق محرقة في باب معدتي . .
 - ماذا أكلت ؟
- ملعقة مهلبية . . دخيلكم أنقذوني . .
- تعال ارفع رأسك قليلاً عن الوسادة . .
- ارفعنی . . ورفعه قلیلاً عله یریحه ولکنه لم یسترح . . ودخلت المرضة الفرنسیة وهی تحمل جهاز أوکسجین وضعته علی فم فرید وأنفه فصرخ بها :
 - أبعديه عني . . أكاد أختنق . .

- إنه يريحك . . يا رياض . . أرجوك . . مدد رجلي على السرير . .

ا في لا أستطيع أن أحركهما ومد رياض يده اليمني إلى ساقى فريد ليمددهما . . وأسند رأسه بيده اليسرى وأخذ يزيحه قليلاً . . وفجأة . . تلاشى فريد بين يدى رياض . . وسقط رأسه على الجدار القريب واصطدم به .

وهنا كان قد وصل الدكتور حجار مع معاونيه فأخذوا يدلكون قلبه وجسمه سريعاً ولكن. ولكن فريدكان قد لفظ آخر أنفاسه.

كان فريد قد مات .

من عجائب القدر،،

لقد وعده الدكتور حجار بأن نخرجه من المستشفى بوم الخميس ، فوفى بوعده . . أخرجه ولكن مبتاً . . وأخرجه محنطاً إلى بيته فى اللويزة .

وإلى بيت الطائفة الدرزية في بيروت . . وإلى القاهرة حيث أوصى بدفنه قرب شقيقته أسمهان ومن عجائب القدر أن فريداً ولد في عيد الأضحى ومات في عيد الأضحى . وأسمهان ولدت في الماء وماتت في الماء . .

كانت أمها حاملا بها . . وهى فى باخرة متوجهة من بلاد الأناضول إلى لبنان عام ١٩١٩ حيث عين والدها الأمير فهد الأطرش متصرفاً على منطقة حاصبيا فى عهد العثماني .

وفى البحر ولدتها . وشاء والدها أن يسميها « بحرية » تيمناً بالبحر . . ولكن والدتها رفضت هذا الاسم وفضلت عليه « أمل » . . ولما احترفت الغناء كانت « أسمهان » ثم ماتت أسمهان غرقاً فى الترعة . . وقد أكرمه ربه فلم يمته فى طائرة أو فى سيارة أو فى شارع بل أماته فى بيته وبين أهله وأحبابه ومعهم الملابين التي أحاطته بقلوبها فى كل بقعة من بقاع الأرض .

من قتل فريد ؟

و يبقى السؤال الكبير الذى لاح على شفاه الناس وهم يذرفون اللدموع على موسيقارهم المحبوب . . ويرددون : إنه لا يزال صغيراً . . فلماذا مات ؟ وهل هناك من تسبب في موته ؟

هل هناك مرض القلب وحده ؟ هل هناك العلاج الذي لم يكن واقياً ؟

هل هو الدواء الكثير ؟ هل هو السهر الطويل ؟ هل هو العذاب الدائم ؟

هل هو الحب من غير أمل ؟ هل هو في عدم الانقياد إلى رغبات الأطباء. والتخفيف من حدة الأكل والسهر والإرهاق ؟

هل هو في إحياثه الحفلات الغنائية الطويلة في الوقت الذي كان يجب أن يركن فيه للهدوء والراحة الاستسلام للسرير ؟

هل هو في تحدى النصيحة الحاسمة التي قالها له الدكتور دبغي : إما أن تغنى وتموت وإما أن تعتول وتعيش ؟

إن الذى قتل فريداً الأطرش هو فريد الأطرش . قتله حبه لفنه . وقتله المحساسه بوجوده وقتله حبه لجمهوره الذى كان يطالب به إلى الأبد . . وقتله حقده على قلبه الذى أعطى الفن والحب والدنيا كل شيء . . و لم يعطيه هذا القلب شيئاً .

وقتله مع حقده على قلبه حبه الكبير للحياة . .

ولكن الذى لم يقتله أبداً . . هو إيمانه بالله تعالى . . خالق السهاوات والأرض ومانح الحياة لمن يشاء . . والذى لاتسقط شعرة من رؤوسنا إلا بأذنه وإرادته ففي ذمة الله ياصديق الحبيب . . .

يامن جفت دموعي حزناً عليك ، ويكاد يجف مع دموعي حبر قلمي . .

جورج إبراهيم الخورى

وفاجح والفنياع العفاري

بقلم: بليغ حمدي





أحبابنا يا عين ..

راحوا معانا ..

رحنا وراحواعنا ..

لا حد منا اتهني ...

كان الراديو يذيع تلك الأغنية .. عندما وجدت نفسى أتغنى بها .. وأستسيغ كلماتها .. وأحفظ موسيقاها.. وأرددها من المرة الأولى لسهاعي لها ..

وهذا هو فريد الأطرش ! كان كذلك .. وظل كذلك ..طول معرفتي به كجمهور.. وعلاقتي معه كصديق .. وتقديري له كفنان .

كان أسلوب فريد الموسيقي يتميز بالبساطة الشديدة .. والشعبية التي تحس معها أنك أليف معه ومع ما يغنيه كما لو كنت قد عشت معه طول عمرك .

إن فريد الأطرش كان يكسبك موسيقيًا إلى صفه منذ اللحظة الأولى . ربما من أجل هذا كانت شعبيته الضخمة . . واستمراره الناجع .

إن النجاح ليس ساذجًا .. ولا هو تلقائى .. أو شيء يأتى بالصدفة لكل من يحدث أن يجده فى طريقه . لهذا فإننى أؤمن دائماً بأن منتهى الإدراك والفهم والتعقل .. أن يحاول الإنسان إدخال هذا الاعتبار فى الحساب .. عندما يحاول تقيم الفنان أمامه .. أحبًا أو ميتاً . وبناء على ذلك فإن ما يجب أن بشغلنا عند نجاح لحن مثلا .. ليس هو :

كيف نجح . . وإنما السؤال بجب أن يكون هو : لماذا نجح ؟

إن تجاح الفنان فريد الأطرش كان يكمن بالدرجة الأولى فى أنه جعل الجمهور منذ لحظته الأولى ، يحس تماماً بوجوده . . وبتأثيره فى الغناء العربى والموسيقى الشرقية . . وبعد ذلك بمساهمته فنيًّا فى تشكيل ذوق المستمع العربى لفترة زمنية طويلة .

إن أقرب دليل واضح على ذلك هو النجاح المدوى والمستمر لفريد الأطرش في الدول العربية بشمال أفريقيا .

إن أى قارئ ذهب إلى باريس .. قد لمس بغير شك مدى تعلق المغتربين هناك من تونس والجزائر والمغرب .. بفريد الأطرش .. وربما لا يستطيع بعضهم أن يعرف من اللغة العربية أكثر من كلمات قليلة .. ولكنه يحفظ غالباً أغانى فريد الأطرش عن ظهر قل .

وفى بلده نفسها ، سواء تونس أو المغرب أو الجزائر ، فإن شعبية فريد الأطرش كانت دائماً واضحة وضخمة ومستمرة .

إن الاستعمار الأجنبي الذي سيطر على تلك البلاد سنوات طويلة ، حاول باستمرار أن يمسخ إلى النهاية إحساسهم بالانتهاء العربي .. وحاول دائماً أن يلغى تماماً شعورهم بشخصيتهم القومية .. ونجح أحيانا في أن يعطيهم صورة الجزء التابع لأوربا والغرب .. وليس صورة الجزء النامي من العالم العربي .

ربماً من أجل هذا كان رد فعل المواطن العربي هناك عنيفاً وكاسحًا .. للتمسك في إصرار بكل ما يشده إلى شرقيته وعروبته .

ولقد كان فريد الأطرش ، في أغانيه وموسيقاه . أحد الملامح البارزة لتلك الشخصية الشرقية في الموسيقي والعربية في الأسلوب .

كان تمسكه بالشرقية فى ألحانه .. وبالعروبة فى صوته يغذى فى التونسي أو المغربي أو الجزائرى الخاضع للاحتلال الفرنسي .. شعوراً مكبوتاً ىعروبته ، لهذا كان إقبالهم

الضخم على الاستماع لألحانه ومشاهدة أفلامه وترديد أغانيه . إن فن فريد الأطرش هو جزء من دفاعهم عن أنفسهم ضد الاندماج والذوبان النهائي في عالم آخر ودنيا وفن آخر .. جاء يكتسحهم من الغرب .

كان فريد الأطرش كذلك بالنسبة لهم فى شمال أفريقيا ..

وكان فريد الأطرش كذلك فى الغناء العربى والموسيقى الشرقية دائماً بالنسبة للمستمعين والجمهور .. وحتى عندما كان فريد الأطرش يترجم إلى العربية إحساساً أعجب به فى الموسيقى الغربية . فإنه كان يترجمه بما لا يتعارض مع الذوق العربى أولا .. وبما يحتفظ له بطابعه الأصيل أخيراً ..

إننى كنت ما أزال صبيًا صغيراً عندما بدأت أردد أغانى وألحان فريد الأطرش . وإذا كنت أنا قد فعلت ذلك وقتها على مستواى المحدود كمستمع , . فإن كثيرين من الملحنين والمطربين قد فعلوا أكثر من ذلك وقتها على مستواهم هم كمحترفين . إن أى دارس لتاريخ الفن يستطيع أن يدرك على الفوركم كان تأثير فريد الأطرش على المجاهات الملحنين المعاصرين له ابتداء من الأربعينات . . خصوصاً «التانجوهات » «التي بدأها هو في أغنيته المشهورة «أنا . . واللي باحبه » .

إننى أحسست وقتها بمدى التطور الذى حققه فريد الأطرش فى ذلك اللحن بالذات. وقد أتيح لى أن أعلم بعد ذلك بسنوات طويلة أن الأستاذ محمد عبد الوهاب قد انتابه الشعور نفسه – وأكثر – فى ذلك الحين.

لقد كان فريد الأطرش متمسكاً بالشرقية الأصيلة فى الموسيقى . . ومع ذلك فإنه كان ناجحاً وشعبيًّا فى المحاولات التي بللها من أجل تطوير تلك الموسيقى . .

ولم يكن نجاحه ، ولا كانت شعبيته ، في الموسيقي وحدها . . ولكنها امتدت إلى أعماله كلها . . بما في ذلك أعماله في السينما . .

إن أى نجم سينائى عندماكان يقول عن أحد أفلامه إنه نجح .. فإن السؤال التالى ____

الذى كان يسمعه فوراً من الوسط السينهائي في مصر هو ، إلى أى حدكان فيلمك ناجحاً ؟ هل اقتربت مثلا من نجاح « حبيب العمر » ؟

إن السينهائيين كانوا يقصدون بـ « حبيب العمر » . . فريد الأطرش ، ولقد كان نجاح أفلامه السينهائية هو في حد ذاته مقياساً يقيسون به الآخرين .

مع هذا كله .. فإن نجاح وشعبية فريد الأطرش .. كان أقل مما يستحق ، والأكثر من هذا ، أقل مما يستطيع !

لم يكن فريد الأطرش يعرف ، أو يجيد ، استغلال نفسه . إنه في حياته كان إنساناً بسيطاً جداً ، يعيش ليومه .. وليس التخطيط للمستقبل جزءاً من مشاغله أو همومه اليومية . إن هذا الجانب من شخصيته ، وجوانب أخرى كثيرة ، لم يتح لى أن أعرفه إلا عندما توثقت علاقتي به كصديق فها بعد .

كان فريد مقبلا على الحياة تماماً .. وإلى آخر مدى .. كان يعيش كملك .. أو كأمير ، ولم يكن يهمه فى قليل أو كثير أن يستغل هو نفسه .. أو أن يستغله الآخرون . ولكى أعطى مثالاً واحداً على ذلك .. فإننى أذكر القارئ مبدئيًا بأن فريد الأطرش كان عازفاً بارعاً على آلة «العود » . . إن لم يكن هو أعظم عازف فى العالم العربى كله . ولأنه لم يكن عجرد عازف .. وإنما كان أيضًا موسيقيًّا ، وبالتّالى فهو يفكر فيا يعزفه .. فإن احتالات النجاح الفنى والتجارى كانت أمامه على مصراعها .. لو أنه قدم للجمهور عجموعة أسطوانات من العزف المنفرد على العود .. أو العزف المنفرد مصحوبًا بفرقة .

ولكنه لم يفعل ذلك .. بكل أسف.

وأذكر أننى عندما بدأت أستحثه على ذلك ، وكان هذا قبل رحلته الأخيرة إلى لندن اقتنع وانفعل وتحمس للفكرة .. وقال لى : يا ريت نعمل الفكرة دى سوا .. وأنا أول ما أرجع من لندن نقدر نعمل خمس أو ست أسطوانات فوراً ..

إنه لم يفعل هذا فى تلك المرة .. لأن الموت كان أكبر منه .. ولكنه كان يستطيع أن يضعها دائماً طوال سنوات عديدة ضاعت منه .

ذلك أن فريداً الأطرش ، كتعبيرنا فى الوسط الفنى : « يقول .. أو « قوال » . . إنه يقول ما يريد .. ويعبر عنه .. فى شرقية وأصالة .. وتطور ! هذا هو انطباعى المبكر عنه منذ عرفنا له لحن المرحومة أسمهان « قهوة . . يا مين يقول قهوة » . . ثم فى اللحن الذى غناه هو بصوته « أنا .. واللى باحبه » .

إن فناناً يمتلك موهبة فريد الأطرش ، وقدرته ، وتفوقه ، وإحساسه .. كان يستطيع أن يمعل يستطيع أن يمعل المكتبة العربية أضعاف أضعاف ما أعطاه .. كار يستطيع أن يفعل ذلك فى ألحانه وأغانيه .. وحتى فى أفلامه . إن من يرى ويسمع اسكتشاته الموسيقية والغنائية الجميلة فى أفلامه السينائية ، يحس على الفور أن بذرة النجاح الضخم فى المسرح الغنائي كانت موجودة فى فن فريد الأطرش .

إن التفسيرات لذلك كثيرة . . ولكننى شخصيًا ، مقتنع بتفسيرين . . أو بسببين . السبب الأول هو أن إقبال فريد الأطرش على الحياة . . وحبه لها . . قد استهلك جزءاً كبيراً من وقته . . بحيث إنه كان مشغولا أساساً بيومه . . وليس بالتفكير في مستقبله . والسبب الثانى كان هو طبيعة شخصية فريد الأطرش نفسه . . إن فريد كان معتزًا للغاية بنفسه ، وعنيداً إلى آخر مدى . . حتى فيا لا يخدم فنه هو . . !

إن هذا هو السبب في أن المرحومة أم كالثوم لم تغن من ألحانه !

إن فريد الأطرش لم يعرف كيف يتعامل مع سيدة في الغناء العربي كأم كلئوم . لقد كانت له طريقته هو في التعامل .. وهي طريقة كانت – فضلاً عن اقتناعه بها – جزءاً من شخصيته هذه الطريقة هي التي جعلته برى مثلا .. أن فناناً كبيراً وناجحاً وشعبيًا مثله .. لا بد أن يكون له حتى اختيار الكلمات التي يلحنها لكي تغنيها أم كلئوم . وأم كلئوم ، – من جانبها – كانت ترى أن من حق فنانة في مكانتها أن تختار هي

الكلمات التي تنفعل بها ، والتي تعطيها لملحن لكي يلحنها .

ولهذا السبب لم يتم هذا اللقاء الفني . الذي كان منتظراً ومحناً .

لقد اختار فريد الأطرش قصيدة «الأخطل الصغير » «وردة من دمنا » لكى يلحنها ويعرضها على أم كلئوم لكى تغنيها .

إن أم كلثوم لم تغنها .. ليس اعتراضاً على القصيدة ذاتها .. ولكن لسبب آخر .. حددته هي بكلماتها : ما دام فريد عاوزيلحن لى . . إذن . . يلحن لى أغنية حفلة . . أغنية تصلح لما أؤديه على المسرح في حفلاتي ..

ولكن فريد رفض أن يفعل ذلك .. إلا إذا غنت له أم كلثوم أولا أغنية « وردة من دمنا » لقد اعتبر هذا التصرف من أم كلثوم هو – أولا – إهانة له .. أو تقليلا من شأنه .. وهو أمر لم يكن صحيحاً بالطبع .. وهو ثانياً تعامل معها بعناد .. هو في الحقيقة جزء طبيعي – وغير متعمد – من شخصيته .

وهكذا خسرنا لقاء فنيًّا كان سيصبح مثمراً جدًّا ، وناجحا للغاية !

ولكن ، تلك كانت هي طبيعة فريد الأطرش !

لقد كانت طبيعته لا تسمح بتكوين العلاقات اللازمة مع المطربات والمطربين الذين يحتاج إليهم لنشر ألحانه .. إن المرحومة أسمهان – أخته – ماتت مبكراً لسوء حظه .. وهي في حد ذاتها كانت تستطيع أن تكون ناشراً ناجحاً جدًّا لألحانه .. لأنها كانت تستطيع أن تكون موصلا إضافيا ممتازاً لألحانه إلى آذان الجماهير العربية ..

بعد أسمهان .. لم يستطع فريد الأطرش ، بحكم شخصيته وطبيعته ، أن يقيم العلاقات التي تسمح له باكتساب ناشرين إضافيين – فوق صوته هو – لألحانه إلى الجمهور .. ومن المكن أن تكون هذه المشكلة مزعجة لأى فنان .. لكنها لم نزعج فريداً في كثير أو قليل .

كان فريد الأطرش الملحن يفضل الاعتماد على فريد الأطرش المطرب! إنه

لم يخطط أبداً ، أو لم يتصور أبداً ، أهمية أن يكون له ناشرون آخرون غير صوته .. بالرغم من أننى مؤمن بأن كل المطربات والمطربين الآخرين كانوا يحبون العمل معه والغناء من ألحانه .

ور بما كانت الفنانة صباح هى الاستثناء البارز هنا .. لأن صباح كانت تربطها صداقة وثيقة بفريد الأطرش .. لهذا أعطاها فريد عدة ألحان شعبية حققت صباح بها ولها – نجاحاً كبيراً . . كان يجب أن يكون مشجعاً لفريد على أن يتعامل بموسيقاه مع الأصوات الأخرى المنتشرة ..

إننى أسوق ذلك لكى أدلل على أن فريداً لم يكن يخطط أبداً لنفسه . إنه كان فى فنه – مثلما كان فى حياته الشخصية – تلقائيًّا وبسيطاً ومقبلا على الحياة الآن ، وفى هذه اللحظة ، قبل أن يفكر فى الحياة باعتباره الغد ، والمستقبل .

لم يكن فريد يعيش لمستقبله ، ولا حتى يفكر فى مستقبله . كان يريد فقط أن يفكر فى الحياة باعتبارها الحاضر . إنه حاضر له ماض ولكن ليس له مستقبل . لقد انعكس هذا الإحساس على كل مجالات حياة فريد وفنه ، بما فى ذلك حياته الشخصية . . وحتى فى علاقته بالمرأة .

إننا جميعاً نعلم أن فريداً لم يتزوج ، بل إنه كان دائماً يرفض فكرة الزواج من أساسها فى كل مرة يحس فيها بضرورة الاختيار واتخاذ موقف .

إن فريداً لم يكن يثق بالمرأة .. مطلقاً ! كان يريد من المرأة دائماً أن تعيش على هامش حياته .. وليس فى مكان الصدارة من حياته ، أو حتى داخل حياته . إننى سألته مرة كصديق : لماذا أراك تحس دائماً بفزع ضخم من فكرة الزواج كلما فرضت عليك الحياة هذا الموقف ؟

وكان فريد - رحمه الله - يجيب : نعم . أما الفزع فهذا صحيح .. أما الموقف الذي تفرضه على الحياة فهذا غير صحيح .. إنني كنت دائماً أختار عدم الزواج ..

لان القدر لم يضع في طريق أبداً المرأة التي أثق فيها ثقة كاملة ..

هل كان لهذا الشعور تأثير على فن فريد الأطرش؟

إنني أقول : نعم !

فالفنان ، مهما كانت رغبته فى الفوضى والانطلاق والبوهيمية ، محتاج دائما إلى الشعور بالاستقرار العاطنى . والفنان محتاج دائماً إلى من تكون محل ثقته .. لأن هذا يعطيه فى النهاية شعوراً يؤكد ثقته بنفسه .

ولقد كان فريد واثقاً بنفسه ، ولكنه لم يجد من يثق فيه .. أو على الأصح ، من يثق فيه .. أو على الأصح ، من يثق فيها . ربما من أجل هذا كنا نجد الحزن طابعاً غالباً على معظم أعمال فريد الغنائية . بل إننى أقول أكثر من ذلك . فعلى المستوى الشخصي كان فريد الأطرش مقبلا على الحاة ، ومحبًا لها ، ومتفائلا بها ..

وعلى المستوى الفنى كانت أغانى فريد تعكس شعوراً بالحزن .. هو فى حد ذاته شعور مضاد للشعور الأول .

أيهما كان الأصل . : وأيهما كان الصورة ؟ أيهما كان الحقيقة . وأيهما كان الافتعال ؟

لا أحد يدرى بالضبط .. ولكن الذى أرويه هنا هو أن هذا التناقض قد أثر بدرجة ما على فن فريد الأطرش .. بمثل ما أثرت عليه تناقضات كثيرة أخرى فى حياته .. إنها أثرت على كلِ شىء فيه .. وفى النهاية أثرت على فنه .

إننى شخصيًا أعتقد أن فريد كان يستطيع أن يعطى للفن أضعاف ما أعطى .. لو قدر له أن يجد في حياته الناصح الأمين .. أو الصديق الوفى .. أو الشريك المخلص . إنه نجح جدًّا ، بالرغم من هذا كله .. وكان سينجح أكثر وأكثر .. لو توفر له هذا كله ! إن فريداً الأطرش ، الفنان ، أعطانا في موسيقاه الملامح الشرقية الأصيلة المتطورة .. التي تخلو من الرتابة .. ويبرز فيها الشعور بالإيقاع .. وتتميز فيها الجملة

الموسيقية بالوضوح والبساطة . إننا نستطيع أن نرى هذه الصفات كلها فى ألحان مثل «قهوة » لأسمهان .. أو «أنا واللي باحبه» .. و «الربيع » .. و «أول همسة » وغيرها كثير .. بصوته هو .

إن تلك الألحان كلها دليل على مدى شرقية موسيتى فريد الأطرش .. ومدى تمسكه هو بتلك الشرقية .

ولكن يعضهم يحلو له أن يسأل ، هل كان تمسك فريد الأطرش بالشرقية في موسيقاه هو محاولة منه بالوقوف ضد التطور ؟

إننى أبادر وأقرر أن الإجابة هي بالنفي .

ربما من أجل هذا كان فريد الأطرش مرشحاً – أكثر من غيره – للخروج بالموسيقي ا الشرقية من آفاقها المحلية .. إلى المجال العالمي .

إن فريداً نفسه كان يفرح بذلك .. ولكنه لم يكن يعمل لذلك !

لقد كان يستطيع ، وكان يفعل ، وكان ينجح فعلا .. ولكن ، بعد قليل ، لا تلبث حياته اليومية ، وإقباله على حياته اليومية ، أن يمتصه من هذا كله .

إن فريد الأطرش – رحمه الله – كان يقول دائماً : نحن شرقيون .. ولنا طابع متميز فنيًّا وغنائيًّا وموسيقيًّا .. وإذا عرفنا كيف نخرج إلى العالم بطابعنا هذا في موسيقانا .. فسوف يرحب بنا العالم ويفتح لنا ذراعيه .

ولقد خرج هو إلى العالم ، ورجبوا به .. وفتحوا له أذرعهم .

إن ألحاناً كثيرة وضعها فريد الأطرش ، وغناها ، أعيد توزيعها وغناؤها فى باريس وأماكن أخرى كثيرة . وجمهوراً كبيراً كان ينتظر من فريد الأطرش أن يكمل هذه المحاولة . لأنه كان أكثر من غيره – هو المرشح للنجاح فيها .

ولكنه لم يفعل .

إن السبب هو – مرة أخرى – طبيعته هو . . وحياته هو . .

كان فريد فى حياته بسيطاً .. وتلقائباً .. وواضحاً .. وصريحاً . إن صراحته كانت تصبح أحياناً قاتلة .. إلى درجة أن الصديق الحقيقى له كان يهم فى كل مرة بمقاطعته لكى يحول بينه وبين أن يدلى هو برأيه صريحاً فى طرف آخر موجود أمامه . ولكن الصديق كان يفاجأ فى كل مرة بأنه قبل أن يفعل ذلك .. قبل أن يتدخل .. فإن فريداً نفسه يكون قد قال كل ما يريده ، وكل ما يحس ، بوضوح واختصار وبساطة .. ولكنها البساطة التى تكون فى أحيان كثيرة أسوأ من القتل !

وكان فريد في حياته كريماً .. وبشوشاً .. ومصيافاً .

وفى كل مرة كنت أصل فيها إلى بيروت .. فإننى ، عند أول مكالمة تليفونية أجريها مع فريد الأطرش ، أفاجأ بترحيبه وحرارته وإصراره على أن يرى بعضنا بعضاً فوراً . إننى لم أكن وحدى فى ذلك . . ولكن فريداً كان كذلك مع كل أصدقائه .

إنه كان يحيط نفسه بعشرات من الأصدقاء ، فى أى وقت من الليل أو النهار . وإذا تركت له نفسك فإنه يستطيع أن يملأ لك وقتك تماماً لمدة أربع وعشرين ساعة فى اليوم . إنه يرتب لك كل ساعة ، ويشغل لك كل ثانية .. وهو يفعل لك ذلك بغير افتعال .. وبغير ملل .. !

إن النجاح الأكبر لفريد الأطرش كان يتركز فى أنه نقل هذه البساطة ، وهذا الصدق ، إلى أعماله . . إلى مستمعيه .

لهذا كانت شعبية فريد الأطرش .. ولهذا كان نجاحه .

لقد استطاع فريد الأطرش أن يساهم بحق ، وبشكل ملموس وواضح ، في

تشكيل ذوق المجتمع العربي لسنوات طويلة مضت .. وسوف يستمر هذا التأثير قويًّا لسنوات طويلة قادمة .

بقيت نقطة أخيرة تتعلق بفريد الأطرش ؛ . كمطرب .

إن كل فنان يستطيع أن يقرر فوراً أن صوت فريد الأطرش كان متميزاً تماماً بين كل من عاصروه من المطربين .

كان صوته معبراً وحساساً . . وشديد الاحتمال . . ومتنوع الطبقات . . ومسرحى الإطار . إنه كان من أكثر الأصوات صلاحية للاستغلال الفنى المسرحى . . وفريد نفسه . . قبل تدهور حالته الصحية . . كان من القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح لمدة ساعتين وثلاث وأحياناً أربع ساعات . . وهو فى كل مرة قادراً على أن يجدد ويتكر فى حدود اللحن الجديد الذي يقدمه . . أو حتى فى حدود لحن مستمر ومضت عليه عشرون أو خمس وعشرون سنة . . مثل لحن «أول همسة » . . أو «الربيع » . إنه كان قادرا على أن يعطى الجمهور إحساساً فى كل مرة بأنه يغنى له هذا اللحن الأول مرة .

ولقد كان فريد يحتفظ لنفسه بطابع خاص ومتميز فى أدائه . . حتى إن المستمع يحس بالألفة مع هذا الصوت وبالحب الشديد . . وإن الأذن العربية ظلت – وسوف تظل – سنوات طويلة تطرب تماما لهذا الصوت .

ربما من أجله لم تفشل أغنية لفريد الأطرش .

و لم يفشل لمحن لفريد الأطرش . .

ولم يفشل فيلم لفريد الأطرش .

لقد كان فريد ناجحا دائماً . . والنجاح ليس ساذجاً كما قلت من قبل . . النجاح يعرف جيداً أن يختار من يستحق النجاح .

ولقد استحق فريد النجاح . . واستحق أيضا ما هو أكثر من النجاح .

. وكم كنت أتمنى أن يطول العمر بفريد الأطرش . . لكى يعطينا مزيداً من الموهبة . . ومزيداً من الفن . ومزيداً من الأصالة . . ومزيداً من الفن . بليغ حمدى



جبيب العسنى والسنوات الأخيرة مِن عسره

بقلم: محمد بديع سربية

عرف عن الكاتب اللبناني المرموق الأستاذ محمد بديع سربية أنه كان من أبرز المقربين إلى قلب الموسيقار فريد الأطرش وحياته . .

ربما من أجل هذا كان الموسيقار الراحل قد اختاره قبل وفاته لكى يسجل قصة حياته ، وينشرها في مجلته « الموعد » . . وهي المجلة التي يملكها وبرأس تحريرها . وفي هذا الفصل لا يروى الأستاذ سربية فقط الذكريات التي سمعها من فريد

الأطرش . . وإنما يروي أيضاً الذكريات التي عاشها معه . . في بيروت وخارج بيروت .



كان يوم الخامس من حزيران «يونيو» ١٩٦٧ بداية تحول جديد في حياة فريد الأطرش . .

فقد كان الموسيقار الراحل ، الذى اعتادت « الموعد » تسميته بـ « الموسيقار الحزين » عائداً من رحلة قام بها إلى الكويت ، وأراد أن يمضى فى بيروت ، وهو فى طريق عودته إلى القاهرة ، بضعة أيام كما اعتاد دائماً ، وشاءت الصدف أن يجد فى بيروت ، وفي فندن « البريستول » الذى اعتاد أن ينزل فيه كلما جاء إلى بيروت ، صديقه الحميم الموسيقار محمد عبد الوهاب وقرينته السيدة نهلة ، وهكذا ، بدلا من أن يمضى فريد إلى القاهرة سريعاً ، أطال إقامته أسبوعين ليتسنى له أن يبقى مع عبد الوهاب ونهلة أوقاتاً مجتمة يتوق دائماً إلى أن يقضيها معهما ! .

وخلال إقامته فى بيروت ، كنت ألتقى بفريد الأطرش كل ليلة ، وكثيراً ماكان يفتح قلبه لى ، لا ليحدثنى عن متاعبه الصحية فقط ، وإنما ليسرد لى سلسلة من المتاعب النفسية والعاطفية التى يتعرض لها ، وبتحملها بسعة الصدر لأنه غير قادر على مجابهتها كماكان يفعل فى أيام الشباب . وماكنت أسمعه من الموسيقار الراحل لم يكن جديداً على ، بل لقد كنت أسمع مثله على امتداد السنين والأيام ، مما جعلنى أتصور ، بل أتأكد ، من أن فريد الأطرش ، لكثرة إحساسه تتملكه عقدة الشعور بالاضطهاد ، وربماكان ذلك ناشئاً عن أيام العذاب التي مرت به في طفولته ، وبداية حياته الفنية ،

وحصوصاً فى الفترة التي عمل فيها كعازف على العود ، ثم كمطرب ، في صالة الراقصة بديعة مصابني ، وفي الحفلات والأفراح . .

ومرة روى لى فريد الأطرش أنه وهوفى الخامسة عشرة من عمره ، عمل كعازف على العود فى فرقة المطرب إبراهيم حمودة ، الذى كان أشهر مطربى ذلك الزمان ، وفي إحدى المرات ذهب المطرب الشهير ليغنى فى حفلة ساهرة تقيمها إحدى أميرات الأسرة المالكة . ورحبت الأسرة بكل حماس بإبراهيم حمودة ، ثم التفتت إلى فرقته الموسيقية ، فما كاد نظرها يقع على فريد الأطرش وهو يحمل عوده ، حتى صاحت بإبراهيم حمودة :

- يا باى . الواد السامى ده دمه تقيل . . خليه يطلع برة ، مش قادرة أشوفه . . وارتبك إبراهم حمودة ، ولم يدر ماذا يفعل ، هل يتخلى عن الشهامة ويستجيب لوقاحة الأميرة المجنونة ، أو يرفض طلبها ويعرض نفسه لانتقامها ، وقبل أن يأخذ قراراً كان فريد الأطرش نفسه يخرج من قصر الأميرة وينقذ موقف المطرب الكبير ! . ومن الرواسب التي خلقت في نفس الموسيقار الراحل عقدة الاضطهاد أيضاً أنسه عندما عمل في صالة بديعة مصابني ، كان يحس بالراقصة الكبيرة التي كانت يومها صاحبة نفوذ كبير في الأوساط الراقية تعامله حسب ارتفاع أو انخفاض «ترمومتر» مصلحتها ، فإذا صفق الجمهور له في ليلة كانت تحسن معاملته ، وتدعوه إلى ماثدتها ، وتغدق عليه التكريم ، وإذا لم يصفق له الساهرون السكاري في ليلة ثانية أشاحت عنه

ولقد كبر الشعور بالاضطهاد فى نفس فريد الأطرش ، مع اتساع شهرته وتألق نجمه ، وصعود اسمه إلى القمم الفنية والعالمية ، ولهذا كان دائم الشكوى من عدم التقدير الذى يلقاه من بعض الأوساط الصحفية والرسمية أو من المؤامرات التى تحاك ضده من جانب بعض الفتانين ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يشعر بالتعويض عن هذا الاضطهاد ،

بوجهها ، وراحت تعامله بقسوة بالغة !

بما يلقاه من تقدير وتكريم وحب من جانب الجماهير المصرية! .

وفى إحدى الليائى ، كنا فى أحد زوايا صالون « البريستول » فى بير وت وكان يستعد للعودة إلى القاهرة ، قال لى فريد الأطرش :

- لقد وقفت معى موقفًا كريمًا ، عندما هاجمت الذين هزءوا بى فى إحدى المجلات ، ورسمونى كاريكاتيراً بصورة « حمار شهاب الدين » ، وكان للمقال الذى كتبته عنى وقعه الحسن عند المنصفين وأولاد الحلال . وأحب أن أصارحك الآن بأننى مع كل حبى لمصر فأنا أشعر بأن أيديًا خفية كثيرة تحاربنى فى الوسط الفنى ! .

وقلت له :

— يا أخى فريد ، لا أريد لك أن تضخم الأمور ، وترى فى كل بادرة عدائية تحاك من شخص ما ، صورة مؤامرة عليك . ثم إنك فنان كبير تجاوزت شهرتك الآفاق المحلية ، ووصلت إلى الآفاق العالمية ، ولم يعد هناك من مبرر لك للاهتمام بالأمور الصغيرة ..

وارتسم الأسي على وجه الموسيقار الراحل ، وقال لى :

و حتى لا تعتقد أننى أبالغ اسمع هذه القصة ، إن الإنتاج السينهائى اليوم هو في أيدى مؤسسة تتبع القطاع العام «كان ذلك فى ربيع ١٩٦٧ « وقد استدعانى مسئول كبير فى المؤسسة ليبحث معى فى موضوع إنتاج فيلم لحساب المؤسسة أكون أنا البطل الأول فيه ، وعندما سألنى عن الأجر الذى أطلبه مقابل تمثيل دور البطولة فى هذا الفيلم ، قلت له إننى لا أطلب إلا الأجر الذى أتقاضاه عادة عندما أمثل أى فيلم ، وهو خمسة وعشرون ألف جنيه . . فهل تعلم ماذاكان رده على ؟ !

سألته:

- ماذا ؟! .. وافق طبعاً .. لأن هذا هو أجرك الفعلى من كل فيلم تمثله .. وعاد الأسى يرتسم على وجه الموسيقار الحزين وقال :

- أبداً ، إن وجه سيادة المسئول فى المؤسسة تجهم فجأة عندما سمع هذا الرقم ، وقال لى بلهجة ساخرة : أمال ليه أنا درست وحدت الدكتوراه .. مش أحسن كنت أعمل مغنى زيك .. وآخد المبلغ الكبير ده عن كل فيلم ...

وقلت محاولا تهدئة فريد الأطرش:

- ر عا كان عازحك ؟!

أجاب :

أبداً. وقد اضطررت إلى الرد عليه بقوة ، وقلت له إن يوسع أى إنسان أن يكون دكتوراً فى الاقتصاد .. وموهوب !! ومن يومها لم تعد مؤسسة السينما تتعامل معى . كما لم يعد بوسعى أن أنتج أفلاماً لحسابى . . وهكذا ترى أنى عاطل عن العمل ! .

وبالرغم من المرارة التي كانت تمتزج بكلمات فريد الأطرش ، فلم يكن قادرًا على إخفاء فحفته للعودة سريعاً إلى القاهرة ، بالرغم من أنه لم يكن مرتبطاً هناك بأى عمل فنى ، وكنت أعلم أن وراء هذه اللهفة حبًا جديداً قد اشتعل في قلبه ، هو حبه للنجمة الشابة سميرة أحمد التي التق بها أمام الكاميرا في فيلم « شاطئ الحب » ومن يومها أسرته بشخصيتها الجذابة ، ورقتها ، وبعدها عن السطحية ، وأحس بأنه أمام امرأة تختلف عن كل النساء اللواتي عرفهن في حياته ! .

وفى بادئ الأمر أخذ فريد الأطرش يسعى إلى إقامة صداقة مع النجمة الناعمة بعيداً عن جو العمل ، فأخذ يدعوها إلى سهراته اليومية فى صالون بيته الذى كان ملتقى كل الأصدقاء والصديقات ، ولاحظ الجميع أن الموسيقار الذى ظل فترة طويلة بلاحب ، يبالغ فى رعاية سميرة أحمد والاهتمام بها ، وكان يجلس إلى المائدة ، ويعلمها قواعد لعبة « الكومى » ، ويضحك من قلبه عندما تسأله وبراءة الأطفال فى عينها :

- اديله « باصلا » يا فريد؟ ! « أَي : هل أعطيه باصره يا فريد » !

وبالرغم من أن فريد الأطرش كان يحب أكثر ما يحب النساء القادرات على مشاركته السهر حتى مطلع الفجر لأنه يكره النوم مبكراً ، فإن قلبه لم يتحول أبداً عن سميرة أحمد التي كانت تستأذن بالانصراف إلى بيتها بمجرد أن تقف عقارب الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل! .

وذات ليلة لم يطق الموسيقار العاشق الاستمرار في كتمان عواطفه فأخذ سميرة أحمد من يدها إلى الصالون الشرق في بيته وقال لها :

« سميرة !! أريد أن أعترف لك .. لقد أحببتك من كل قلبي .. وأنت الوحيدة
 التي استطعت أن تمحى من ذاكرتي صورة النساء اللواتي عرفتهن في حياتي ..

وابتسمت النجمة الناعمة وقالت:

- وتأكد أن هذا الحب ليس من طرف واحد ..

وهتف بفرح:

يعنى ايه ؟! أنت كمان ؟ ؟

وهزت رأسها علامة الإيجاب .. ولكن فريد الأطرش توقف عند هذا الحد فى حديثه وفهمت سميرة أحمد من سكوته بأنه يريدها عشيقة له وليست زوجة ، وهى ما اعتادت أن تكون عشيقة لأحد ، ولا تفهم أن للحب نهاية غير النهاية الطبيعية التى هى الزواج ، ومن هنا ، وعندما فهمت الحقيقة ، بدأت تقلل من زيارتها له .. وكلما ابتعدت زادت نار الحب فى قلبه اشتعالا ! .

وفى هذه الأثناء ، اضطرته أعماله للسفر إلى الخارج ، فأرسل لها سيارة « سبور » أنيقة ، وثلاثة حقائب كبيرة تحتوى على أغلى الملابس ، وأنواعاً مختلفة من أدوات الزينة ، وعندما اتصل بها مكتب فريد الأطرش ليبلغها عن السيارة والحقائب ، ويطلب إليها تسلمها كهدية منه ، كان ردها أنها تعتذر عن عدم قبولها !

وعندما اتصل بها صديق مقرب من فريد الأطرش ، وسألها عن سبب رفضها للهدية ، كان جوابها :

- أرجو أن يفهم الأستاذ فريد أن حبى له مهما بلغت درجته ، فإنه لن يدفعنى إلى القبول بأن أكون عشيقته . . وإذاكان يحبنى فعلا ، ويريد الارتباط ، فأنا لا أرى أمامه وأمامي إلا رابطة . . الزواج !

وبلغت الأخبار فريد وهو فى الخارج ، فتألم لأن سميرة أحمد رفضت هداياه ، ولكنه لم يغضب لوضعها شرط الزواج لكى يستمر الحب بينه وبينها ، وإنما تضاعف حبه لها أكثر وأكثر ، وكان فى شوق ملح للعودة إلى مصر ، واللقاء بها والتفاهم معها .. ولا أحد يدرى ماذا كان يدور فى ذهن فريد الأطرش وهو يستعد للعودة إلى مصر . هل كان يوافق على الزواج من سميرة أحمد ، أو أنه سيقطع علاقته بها ؟! أو يحاول إقناعها بأنه إنسان خلق للحب ولم يخلق للزواج ! .

وحدد فريد الأطرش لى موعد سفره .. وتواعدنا على اللقاء فى صباح يوم السفر لأودعه وأسمع المزيد من أخباره وحكاياته ..

وفي الصباح ، كان فريد الأطرش في غرفته بفندق ه البريستول ، يعد حقائبه للسفر ، وقبل لحظات من انطلاقه نحو مطار يبروت ، رن جرس التليفون في غرفته ، وتلقفت أذنا فريد باستغراب صوت الموسيقار محمد عبد الوهاب ، وكان سبب الاستغراب هو أن عبد الوهاب ودعه بالأمس ، ولم يتعود أن يصحو مبكراً ! .

وقال عبد الوهاب:

فرید . . أنت مش حتسافر یا حبیبی . .

وصرخ فريد الأطرش :

ليه ؟ ! خير إن شاء الله يا أستاذ ! .

قال عبد الوهاب بصوت يمتزج بالاضطراب:

- الحرب قامت يا فريد .. إسرائيل بدأت بالعدوان على مصر ، والمطارات أقفلت ! .

وجمد فريد الأطرش في مكانه .. وعاد يفك حقائبه ..

كان ذلك اليوم هو يوم الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ . .

ومن ذلك اليوم بدأ التحول الجديد في حياة الموسيقار الراحل.

لقد قرر فرید أن یقیم فی بیروت مؤقشاً .. ولكن الظروف جعلت من «مؤقتا » هذه شیئاً دائماً . لقد بدأت تصبح لدیه ارتباطات عمل مستمرة . . كان على رأسها عمله فی فیلمه الجدید مع السیدة فاتن حمامه .

فما إن أطلت النجمة فاتن حمامة على مطار بيروت ، حتى وجدت الموسيقار فريداً الأطرش بانتظارها وفي يده باقة من الورد قدمها لها ترحيباً بها ، وتعبيراً عن امتنانه لها بعد أن رضيت أن تخرج من عزلتها السيهائية التي طالت ثلاث سنوات لكى تمثل دور البطولة في فيلمه «الحب الكبير» ، وكانت من قبل قد مثلت معه في مصر فيلم الحن الخلود » الذي هو قمة أفلامه السيهائية ، قضلا عن فيلم آخر هو «من غير وداع» ..

وقد حرص فريد الأطرش على أن يأخذ رأى فاتن حمامة فى كل شاردة وواردة تتعلق بفيلم « الحب الكبير » لأنه كان شديد الإعجاب بكل رأى تبديه ، ويعرف أن الممثلة الكبيرة عندما تمثل أى فيلم ، فهى لا تكتنى بأن تقوم بالدور المطلوب منها فى الفيلم وخلاص ، بل تحاول أن تعطى كل خبراتها من أجل أن يتحقق النجاح الفنى الكامل لهذا الفيلم ..

وقبل أن تبدأ فاتن مع فريد الأطرش رحلة العمل في الفيلم قال لها :

أولا ، أحب أن أستشيرك بشأن الممثلين الذبن سيعملون معنا في الفيلم .
 أيه رأيك بصديق العزيز عبد السلام النابلسي ؟؟

وضحكت فاتن وقالت:

- وهوه معقول فريد الأطرش يمثل فيلم وما يكونش معاه حبد السلام التابلسي ...
وكانت النجمة الكبيرة على حق فيا تقوله ، فإن صداقة فريد الأطرش وعبد السلام
النابلسي كانت مضرب الأمثال ، فقد كان من النادر أن تدخل بيت فريد الأطرش ظهراً أو مساء ، في بير وت أو في القاهرة ، ولا تجد فيه عبد السلام النابلسي ، ومن أبرز
الأحداث في حياة الصديقين أنهما في العام ١٩٥٠ ، نالا الجنسية المصرية في يوم
واحد ، وكانت هذه أكبر مفاجأة في حياتهما ، بعد أن أقاما في مصر زهاء عشرين
عاماً دون أن يحملا جنسية البلد الذي اختار البقاء فيه ... وأعطاهما الكثير من المجد والتألق ، مما لم يكن يتوفر لهما لو أن كلا منهما بقي في بلده ..

وعندما أقام فريد الأطرش فى بير وت بصفة دائمة وكان يتردد عليها مرة أو مرتين فى السنة فإنه لم يكن يفارق صديقه الحميم عبد السلام النابلسي الذى كان قد سبقه إلى الإقامة فى بير وت ، واشترى شقة فى عمارة « يعقوبيان » وكان فريد كلما دعى إلى حفله أو سهره ، يشترط أن يكون عبد السلام فى مقدمة المدعوين ، وكل يوم ، عندما كانت تخطر لفريد الأطرش أية أكلة شهية كان يتصل بصديقه الحميم على الفوركى يعد له هذه الأكله لأنه سوف يجىء لتناول الغداء عنده ، وكان عبد السلام والشهادة لله ، طباخاً ماهراً ، وسخيًا على مائدته ومضيافاً من الطراز الأول . .

ولقد اتفق فريد الأطرش وعبد السلام النابلسي طوال عشرتهما على أشياء كثيرة ، والأمر الوحيد الذي كان يختلف فيه الصديقان هوأن فريد الأطرش لم يكن يهتم بصحته ، برغم أنه مصاب بثلاث ذبحات قلبية ، ويفرط في السهر والتعب واللعب لأنه كان يؤمن بأن العمر واحد والرب واحد ، أما عبد السلام النابلسي فكان على عكسه تماماً ، يخاف على صحته ، ويرتعش خوفاً من أي عارض صحى ، ولا يتحرك إلى أي مكان إلا وتحت إبطه صيدلية متنقلة

وكانت فاتن حمامة تعلم أن بين فريد الأطرش وعبد السلام النابلسي صداقة روحية عميقة ، ولذلك لم تردد في الموافقة على أن يكون عبد السلام من نجوم « الحب الكبير » خصوصًا وهي تعلم أنه يضفي على أى فيلم يمثله جوًّا من المرح ..

وعاد فريد الأطرش يسأل فاتن حمامة :

– ويوسف وهبى .. ما رأيك به ؟! إنه سيمثل دور والدك فى الفيلم .. وردت فاتن حمامة فورا :

- يوسف وهبي [] إنه أستاذنا جميعاً . .

ويبقى هناك دور يحتاج إلى من تمثله فى الفيلم ، وهو دور السيدة الارستقراطية المستهترة التى تحاول أن تلعب بقلب بطل الفيلم « فريد الأطرش » وتبعده عن حبيته « فاتن حمامة » . . وقال فريد :

- حتى الآن لم أجد فى بير وت واحدة تصلح لهذا الدور . لقد تعرفت بملكة جمال اسمها غلاديس أبو جوده « اسمها الفنى الآن حبيبه » ... ولكننى رأيت أنها لا تصلح لدور المرأة المستهترة ، فهى ناعمة ، ورقيقة ، وبريئة الوجه ..

وضحك وقال:

وأحاف أن أقع في غرامها فعلا ..

وردت فاتن حمامه على فريد الأطرش قائلة :

- لا يا خويا .. احنا عاوزينك المرة دى تشتغل من غير حب ..

ورد الموسيقار الراحل قائلا :

وحياتك أنا خلاص ، بطلت الحب .. وحتى لما قعدت فى بيروت نسيت آخر حب لى فى مصر ..

وسألته فانن بخبث :

- يا ترى مع مين كان الحب يا فيرى ؟!

وبالصراحة التي تعودها ، أجاب فريد :

- مع سميرة أحمد .. لكن وشرفى ما حصلش أى علاقة بيننا ، مجرد حب انتهى بعدما قعدت أنا فى بيروت ..

وقالت قاتن:

اسمع يا فريد أنا رأبي أننا ندور على بنت جديدة ولبنانية وتمثل الدور ده .. ايه رأيك ؟

وهز رأسه بالموافقة ..

وبدأت العيون تبحث هنا وهناك عن سيدة لبنانية تصلح لأن تمثل الدور الثانى في فيلم « الحب الكبير » وتم العثور عليها أخيراً ، وكانت السيدة ليزسركيسيان ، وهى زوجة أحد رجال الأعمال ، ومن محاسن الصدف أنها كانت ممثلة .. وأنها برغم زواجها لم تستطع أن تتخلى عن هواية التمثيل ، فلما سنحت لها فرصة الظهور على الشاشة السيمائية ومع من ؟ ! مع فريد الأطرش ، وفاتن حمامة ، وعبد السلام النابلسي ، ويوسف وهبي ، لم تتردد في الموافقة ولو أدى ذلك إلى أن ترقص حياتها الزوجية على كف عفريت .. وهذا ما حدث فعلا بعد سنوات ! .

« على بركة الله .. نبدأ التصوير بعد أسبوع » ..

قالتها فاتن حمامة ..

ولكن فريداً الأطرش لم يدعها تكمل كلامها ، فقال :

- اسمحى لى أولاً أن أدعوك إلى حفلة أقيمها تكريماً لك . .

وأجابته فاتن :

- حفلة إيه ؟ هوه في بيننا مجاملات يا فريد ؟

وأجاب الموسيقار الخائد

- يا ستى ده واجب على ... ثم أنا حا كون سعيد جدًّا ، لأن الحفلة التي سأقيمها

تكريماً لك ، سوف تكون أول حفلة أقيمها في بيتى الجديد الذي لم أسكن فيه الا من مدة قريبة ! .

وفي هذه الشفه بالدات كان يقضى الموسيقار الراحل؛ در أوقاله ، ويقيم كل حقلاله وأحياناً كان يستغلها في تصوير المشاهد الداخلية في أفلامه ، أو يجرى فيها البروفات على أغانيه الجديدة ، أو الأغانى التي سيقدمها في حفلات المسرحية ..

وقال فريد الأطرش لفاتن حمامة إنه سيكون فى منتهى السعادة بأن « يدشن » شقته ويبدأ حياته الاجتماعية فيها بحفلة يقيمها على شرف فاتن ، التي كان وجهها خيراً عليه فى كل فيلم ..

وقبلت النجمة الكبيرة الدعوة إلى الحفلة التي أخذ فريد الأطرش يهتم بتنظيمها واختيار المدعوين إليها ، وفعلا ، كانت الحفلة لذيذة ممتعة ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تدخل فيها السيدة سلوى القدسي و زوجها نور الدين القدسي ، إلى منزل فريد الأطرش ، وكانت في الشهور الأخيرة تلتتي به في مناسبات عادية ، أو تراه في كازينو لبنان ، عندما كان يذهب مع شلته مساء كل سبت ، وتذهب هي مع زوجها ، إلى هناك ا .

فريد الأطرش كان ليلتها شعلة من المرح والحيوية ، وبلغ القمة فى خفة الدم ، وقال لمدعويه إنه تخيل نفسه امرأة ، وأخذ يمثل ، بمنتهى الظروف كيف يتحرك ، ويتكلم ويغازل ، لو كان امرأة ، ثم أكمل برنامج الضحك الذى أراد أن يسلى به مدعويه ، فروى لهم أكثر من نكتة ، واستلقت فاتن حمامة على ظهرها من شدة الضحك ، عندما روى لها نكتة عن نفسه ! .

قال فريد إن أحد المعجبين كان يتصل به باستمرار ، ويطلب إليه أن يكلمه ، فتجيبه الشغالة سنية :

- والله الأستاذ مش قادر يكلمك .. لأنه في الحمام! .

وعندما تكررت اتصالات المعجب ، وفي كل مرة يتلقى الجواب نفسه وهو أن « الأستاذ » في الحمام ، صرخ في سنية :

- هو الأستاذ وسخ للدرجة دى علشان يبقى في الحمام ؟ ؟ .

وعلق فريد على النكتة ، واعترف للساهرين بأنه عندما يدخل الحمام لا يغسل جسده بالماء ، بل بالسبيرتو فقط ، وقال : وتفضلوا شوفو أنا نضيف إزاى ؟ !

سهرة ولا ألطف ولا أمتع ..

وليلتها فقط كانت سلوى القدسى ترى فريداً الأطرش عن قرب ، وتكتشف ما عنده من مزايا لم تكن لتعرفها من قبل في اللقاءات العابرة التي جمعت بينهما ..

وليلتها أيضاً ، لفتت سلوى القدسى اهتمام فريد الأطرش ، بحلاوتها ، وأناقتها ، وجلستها ، ووجهها الضاحك دائماً ..

وعندما انصرف الساهرون من سهرة فريد الأطرش التي طالت إلى ما بعد منتصف الليل ، بقيت فى خيال الموسيقار الراحل صورة حلوة ، سلوى القدسى التي وجدت نفسها أيضًا تفكر بفريد الأطرش كثيراً . .

وطلع الصباح على سلوى وهي ما زالت تفكر ...

ومن هناكانت .. البداية !

اعتاد الموسيقار فريد الأطرش الحياة فى بيروت ، بعد أن استقر فى بيته الأنيق فى اللويزة » ووجد أنه قادر على أن يمارس فى بيروت النشاط الفنى الذى كان يمارس فى القاهرة . .

ولعل أكثر ما جعل فريداً الأطرش يحس بالاطمئنان هو أنه كان يجد فى بيروت من التقدير والحب ما يلقاه فى القاهرة ، وكان فيلم ه الحب الكبير ، هو الذى جعله يطمئن أكثر فأكثر إلى أنه يستطيع فى لبنان أن يمارس نشاطه الفنى ، ويكسب كثيراً من هذا النشاط أى أن بيروت أصبحت بالنسبة له ميدان عمل جديد ، وليس مجرد بلد يقصده للتسلية والترفيه والسياحة ..

إن فيلم « الحب الكبير » الذى مثله الموسيقار الراحل وأنتجه على حسابه قد حقق نجاحاً شعبياً يفوق التصور ، كما در على فريد الأطرش أرباحاً جيدة لا تقل عن الأرباح التي آلت إليه من جميع أفلامه السابقة ، وإن كان قد اكتشف خلال عمله فيه أنه ليس قادراً على حمل مسئوليات الإنتاج ، مما جعله يقتنع بأن من الأفضل له أن تكون الأفلام التي يمثلها من إنتاج سواه ، وأن يبقي هو في نطاق عمله الفني فقط ، فيمثل ويغني ويلحن ويتقاضي أجره الذي لا يقل عن مائة وخمسين ألف ليرة لبنائية ، فيمثل ويغني ويلحن ويتقاضي أجره الذي لا يقل عن مائة وخمسين ألف ليرة لبنائية ، وكانت مشكلة فريد الأطرش الوحيدة في بيروت هي أن يجد شلة من الأصدقاء وكانت مشكلة فريد الأطرش الوحيدة في بيروت هي أن يجد شلة من الأصدقاء يرتاح إليها ، ويعيش معها ، وتعيش معه ولا تفارقه أبداً كما كان حاله وهو في القاهرة ، ومن هذه الناحية فإن الموسيقار الراحل كان يحب ويفضل أن يكون له فريق من الأصدقاء لا يبتعد عنهم أبداً ، وبالرغم من أنه فنان مشهور ، وإنسان كبير ورجل يتميز بكل الصفات التي يمكن أن تجعل منه نجماً مشهوراً ، فإنه كان يبتعد عن الاختلاط الصفات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة بالمجتمعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة المجتمعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة المجتمعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة المحتمعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجتمعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة المحتمات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة المحتمات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة المحتمات الراحد المحتمات الراحد المحتمات الراحد المحتمات الراحد المحتمات الراقية ، وحتى إذا اضراع المحتمات الراحد المحتمات الراحد المحتمات الراحد المحتمات الراحد المحتمات الراحية المحتمات الراحد الحكال المحتمات الراحد ال

إلى حضور أية حفلة ، فإنه كان يشعر بالاختناق ، ويسارع إلى اختصار وجوده فيها والعودة إلى شلة الأصدقاء التي لا يمل عن مجالستها وعشرتها أبداً ..

وذات يوم اضطر الموسيقار الراحل إلى حضور حفلة اجتماعية كانت تقام على شرف السيد كمال الأسعد ، رئيس مجلس النواب في لبنان ، وفي منتصف السهرة ، سأله الرئيس الأسعد قائلا :

- يا أستاذ فريد ، نحن معجبون بك كثيراً ، فهل يمكن أن تسمعنا شيئًا من أغانيك هذه الليلة

وشعر فريد الأطرش بالإحراج أمام هذا الطلب ، ولكنه مع ذلك رد على الرئيس كامل الأسعد معتذراً له بأن حالته الصحية لا تسمح له بأن يغنى ، ثم ، بدون أن يشعر به أحد ، خرج من السهرة وعاد إلى بيته ، وقال لى ونحن معًا فى السيارة .

- هل عرفت الآن لماذا لا أحب حضور الحفلات الاجتماعية ، إنهم يريدوننى أن أغنى ، وربماكان ذلك دليلا على حبهم وتقديرهم لى ، ولست أستطيع فى كل سهرة أن أقف لألتى خطاباً أقول فيه إننى متعب صحيًا ، وإن الغناء فى سهرة خاصة وبدون فرقة موسيقية ليس عملا هيئًا بالنسبة لى ، ولذلك ترانى أنجنب الحفلات والسهرات العامة ، ولا أستريح إلا مع الناس الذين ينسون أننى فنان ، ويعاشروننى كصديق وإنسان عادى ...

وفى ذلك الحين كان فريد قد اختار مجموعة الأصدقاء والصديقات التى لا يخرج من نطاقها أبداً ، وكان منهم صهره الوجيه رياض جنبلاط ، وقرينته السيدة كاميليا الأطرش ، ابنة المرحومة أسمهان ، والفنان عبد السلام النابلسي – رحمه الله – وزوجته جورجيت ، ومنتج الأسطوانات روبير خياط ، وغيرهم من الذين لم يكن عددهم يزيد على عدد أصابع اليد ، وكان فريد الأطرش يستقبل بين الحين والآخر الأصدقاء والصديقات من أهل الفن الذين يفدون إليه باستمرار من القاهرة ، فيرحب بهم بحرارة

ويدعوهم إلى العشاء فى بيته ، أو إلى الغداء فى فندق « البريستول » الذى كان مقرًا له ظهر كل يوم ، يلتتى فيه بالناس الذين بينه وبينهم مواعيد عمل ، ولا يريد لهم أن يتعبوا أنفسهم فى الذهاب نهاراً إلى بيته البعيد زهاء عشرة كيلو مترات عن بيروت ! .

وعلى الرغم من أن الموسيقار الراحل كان قد استقر فى بيروت تماما ، وصار يذهب منها فى رحلاته السنوية إلى أوربا ثم يعود إليها ، فقد كان يلازمه الشعور دائماً بأن إقامته فى بيروت هى إقامة مؤقتة ، وأنه لا بد أن يعود إلى مقر إقامته الطبيعى فى القاهرة . .

والذين كانوا يسألونه عن سبب هجرته من مصر ، كان يجيبهم دائماً :

- ياناس ، أنا لم أهجر مصر ، أنا فقط أوزع إقامتي بين بيروت والقاهرة ، وأنا دائماً أوصى علنًا بأن أدفن في مصر ، إلى جوار أختى أسمهان ، فيها لو مت وأنا بعيد عن مصر ..

ويسألونه :

- ولكنك منذ حرب ١٩٦٧ لم تعد إلى مصر أبداً ..

فيجيب :

- لم أذهب إلى مصر هذا صحيح . ولكن بيتى فى القاهرة ما زال مفتوحاً ، ثم ، أنا مريض ، والمناخ فى لبنان يلائمنى أكثر ، ومجالات العمل الفنى أجدها هنا ولا أجدها هناك ، بعد أن أصبح الإنتاج السينائى فى يد الدولة ، فضلا عن أننى أقدم للإذاعة كل أغنياتى بلا مقابل ..

ويسكت فريد الأطرش عند هذا الحد ولا يطيل الحديث فى هذا الموضوع ولكنه يعود ليهمس بأنه عاتب على الفنانين والمسئولين الذين لا يقدرونه كما يجب ، ويروى أنه أراد ذات يوم أن يسافر من القاهرة إلى بيروت لزيارة أمه المريضة ، ثم للذهاب إلى طبيبه الخاص الدكتور جيبسون فى لندن ، فظل أكثر من شهر يحاول الحصول على تأشيرة خروج دون جدوى ، إلى أن عرف بذلك صديقه الشاعر المرحوم كامل الشناوى ، فأوصل شكوى فريد بواسطة الصحنى الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذى أمر بإعطاء تأشيرة الخروج فوراً لفريد الأطرش . .

ومضى الموسيقار الراحل يعيش أيامه ولياليه في بيروت بين الأصدقاء والصديقات ، ويحاول دائماً ألا تفوته ساعة واحدة دون الاستمتاع بحياته ، وكانت صدمته بوفاة صديقه الراحل عبد السلام النابلسي ، قاسية وعنيفة ولكنه تحملها بالصبر ، وتغلب على أحزانه وآلامه ، وكان يجد العزاء دائماً في القلوب المحبة التي تحيط به من كل حانب .

ويوماً ، فى نيسيان « أبريل » ١٩٦٩ انفجرت فى بيروت اضطرابات سياسية وشعبية أدت إلى إعلان قرار منع التجول كل يوم من السادسة مساء وحتى السابعة صباحاً فى العاصمة اللبنانية وضواحيها ، وفوجئ الموسيقار بأن معظم أصدقائه ليس بوسعهم الوصول إلى بيته أو زيارته فى الليل ، وكان معنى هذا أن يقضى الليل وحده فى البيت – وهو أقسى ما يمكن أن يحكم به عليه ..

وأكثر ماكان يقلق فريد الأطرش ويعذبه هو أن يقضى الليل وحيداً ، بلا ناس ، بلا تسلية ، بلا أصدقاء يظلون معه إلى أن يطلع النهار ، ويصبح باستطاعته أن يأوى إلى فراشه بعد أن يكون قد تناول الأقراص المهدئة التي تمكنه من النوم ..

الوحدة كانت تعذب الموسيقار الراحل ..

كان يقول لى : بين أصدقائى وأحبابى أنسى آلامى وهمومى ، ولكن عندما أكون وحدى ، أصبح نهبًا للأفكار السوداء ، ويمر فى مخيلتى كل ما أعانيه ، ويتملكنى القلق ... وأتصور أشياء وأشياء .. لا أتمكن معها من الاستسلام للرقاد ..

وما دام يكره الوحدة ، ولا يستطيع النوم مبكراً ، فماذا يفعل فريد الأطرش

والأصدقاء كلهم خافوا مما يحدث في الشارع ، فلم يخرجوا من بيتهم ، ومعظمهم لا يجرؤ على مخالفة قرار منع التجول والخروج من بيته ! .

ومرة قال لى : إيه الحل ؟ ؟

وأجبته : الحل هو أن تخرج أنت وتذهب إلى بيوت الأصدقاء ، فأنت فنان مشهور ومحبوب ، ولا أظن أن أحداً سوف يعترضك أو يمنعك من التجول ...

وقال لى : ده صحيح .. ولكنى أحب التغيير ، أريد أن يجيء الأصدقاء إلى كما أذهب أنا إليهم ..

وفكرت لحظة ، ثم قلت له :

- اطمئن .. سوف أوفر للأصدقاء الذين تريدهم بطاقات تجول ، تسهل لهم الانتقال من بيوتهم للسهر معك ..

وفعلا ، وزعت البطاقات المطلوبة على عدد محدود من الأصدقاء ، كان بينهم نور الدين القدسى وقرينته سلوى ، وعلى امتداد ثلاثة أسابيع هى المدة التى فرض فيها منع التجول ، كان فريد الأطرش يقضى لياليه مع هذه المجموعة القليلة من الأصدقاء . وقبل أيام من انتهاء منع التجال قال لهم :

- اسمعوا .. لقد هجرت كل أصدقائى ، وشعرت بالارتياح إليكم ، حذار أن تغدر وا بى بعد انتهاء منع التجول وتنصرفوا عنى .. إننى لا أستطيع أن أعيش بلا أصدقاء.. وضحك الجميع وقالوا بصوت واحد :

- وهل يمكن لأحد أن يرفض صداقة إنسان رائع مثل فريد الأطرش ..

وفجأة ، التفت الموسيقار إلى ... ، وإلى نور الدين وسلوى القدسي ، وقال :

اسمعوا .. بعد مدة سوف أسافر إلى أوربا .. إيه رأيكم نكون كلنا مع بعض ؟ ؟ .
 يا سلام وتبقى رحلة هايلة . !

واتفق الأصدقاء على الرحلة . . . و بقى على فريد الأطرش أن يحدد موعدها ! .

ولم يتحدد الموعد . .

ولم تبدأ الرحلة . . لأن فريد بدأ رحلة أخرى . . رحلة الموت . رحمه الله .

محمد بديع سربية

فرريب. فناه لايست كرر..

بقلم: محمد الموجي





كان هو المذباع الوحيد في قريتنا!

إنه المذياع الذى يملكه ناظر الزراعة فى قرية « دمرو » مركز المحلة الكبرى .. وهى القرية التى ولدت فيها .. وشببت بين حقولها .. وعرفت الغناء والموسيقى من خلال الراديو الوحيد فيها .

وفى إحدى المرات ، وكان عمرى حوالى الثالثة عشرة .. التقطت أذناى أغنية من مذياع ناظر الزراعة .. كانت هي الأغنية التي عرفتني بفريد الأطرش لأول مرة .

إنها الأغنية التي يقول فيها ..

كرهت حبك .. من كتر صدك .. وكرهت فيكي كتر الدلال ..

على ايه أحبك .. والا أودك .. مش عايز اشوفك ولا فى الخيال .

كانت تلك الأغنية من تلحين الموسيقار مدحت عاصم .. وكما هي العادة مع معظم أغاني فريد الأطرش .. فإنني أحببتها وحفظتها ورددتها من أول مرة ! ومن يومها بدأت علاقتي يفريد الأطرش !

وبالإضافة إلى الغناء والموسيقي .. كانت هناك روابط إضافية تجمعني ، وأنا الصبي الصغير بالموسيقار والمطرب المشهور فريد الأطرش .

كنت أهوى الرسم ... إلى جانب الغناء والموسيقى .. وكان فريد وقتها موضوعاً جذاباً ومغرياً للرسامين الصحفيين .. وخصوصاً رسامي الكاريكاتير .. إنني أذكر هنا بالذات

مجلة البعكوكة التي كانت شعبية ومشهورة وقتها .

وكلما رسمت المجلة صورة فريد الأطرش على غلافها .. كنت أجد نفسى وأنا أحاول تقليد تلك الرسوم لشخصية أحبها .. ضاغطاً فى كل مرة على السهات المميزة لفريد الأطرش .. بوجهه المستطيل وحواجبه الكثيفة وتسريحته وتعبير الحزن البسيط والدائم .

ولم يكن الحزن سمة شخصية فقط بالنسبة لفريد . . ولكنه كان سمة فنية أيضاً . كان الحزن في صوته يخاطب شيئاً دفيناً في داخلي . لقد كنت منعزلا وانطوائيا بطبيعتي وكنت أحس أن هناك نوعاً من العشرة بيني وبين صوت فريد الأطرش . وحتى حيما كان فريد يلحن لغيره . . كنا نجد بصهاته واضحة في اللحن والغناء أيضاً وأوضح مثل ذلك المرحومة أسمهان ، على اللحن والغناء أيضاً . وإن أبرز مثل تعيه ذاكرتي لذلك الآن هو أغنية رجعت لك يا حبيبي بعد الغياب ... وهي التي كانت تغنيها أسمهان من ألحان فريد .. في تلك الأغنية .. ما زلت حتى الآن أسمع بوضوح عزف فريد على العود .. وغناءه مع الكورس .. بالإضافة إلى صوت أسمهان نفسها ..

وكان فريد .. إلى جانب كونه ملحنًا ومطرباً .. أكثر من ساحر فى عزفه .. لقد كان له تكنيكه الخاص فى الابتقان .. من حيث إن فرقة موسيقية كاملة كان يمكن أن تضبط نفسها على عوده .

إننى أؤكد أن صورة فريد فى عزفه .. قد شدتنى تماماً فى البداية .. بحيث إننى كنت أتدرب على العزف على العود .. وصورة فريد فى مخيلتى دائماً .

ومن وقتها وفريد الفنان يفرض نفسه على دائماً . .

فعندما انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الزراعة بالمحلة الكبرى .. اختارني مدرس التربية الزراعية .. وكان اسمه « أبو الوفا » لكي أشترك بالغناء في أول حفل سمر يقيمه فريق الكشافية بالمدرسة .. وبمجرد أن صعدت إلى المسرح .. وجدتني أغنى تلقائياً

أغنية «عشك يا بلبل »

وعندما تخرجت وعملت ناظراً للزراعة .. كانت أول سهرة لى هى مع أغنية « ياللاسوا .. » فبمجرد أن بدأت سهرتنا كأصدقاء .. دخل علينا صديق ليزف لنا آخر الأنباء .. إن فريداً أذاع أغنية جديدة اسمها ياللاسوا .. وبمجرد أن بدا الصديق يردد الأغنية .. ظللنا نرددها معه جميعاً طوال السهرة ..

هكذا بدأت علاقتي بفريد الأطرش كمستمع ..

أما علاقتى به كفنان .. فلم تبدأ مبكراً .. فسنوات طويلة كانت قد مضت على اشتغالى بالفن .. قبل أن أعرف أول رأى لفريد الأطرش فها أفعله .

كانت قد أذيعت لى فعلا ألحان قدر لها أن تنجح وتحظى بقدر لا بأس به من الشهرة . . ومنها أغنية صافيني مرة . . و بتقوللي بكره . . اللتين غناهما المطرب عبد الحليم حافظ .

وحدث فى تلك الفترة التى كانت هى مطلع الخمسينات أن سألت إحدى المجلات الفنية بعض الملحنين عن الموجة الجديدة التى بدأها كمال الطويل وأنا . . وأذكر أن الأستاذ أحمد صدق على على السؤال قائلا : دول ناس باين عليهم زى ما يكونوا جايين من الصعيد الجواني .

وقال الأستاذ محمود الشريف : ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم . .

أما الأستاذ فريد الأطرش فقد أجاب بقوله .. لا أستطيع أن أقول رأيى فى كمال الطويل ومحمد الموجى الآن ... لا بد أن يستمرا فى العمل بهذا المستوى على الأقل عشر سنوات . . حتى نستطيع أن نحكم هل يمثل نجاحهما خبطة حظ . . أو يمثل طفرة فنية . .

كانت تعليقات الجميع صعبة .. ولكن تعليق الأستاذ فريد الأطرش كان أكثرها حناناً .. بل أكثرها إنعاشاً لحماسنا .. كمال الطويل .. وأنا ..

لقد كان فريد فناناً كبيراً دائماً . . طيب القلب دائماً . . في داخله قدر كبير من حب المنافسة . . وليس في داخله ذرة واحدة من الغيرة 1

إنني أذكر أول مرة دخلت فيها بيت فريد الأطرش .. وكان قد دعاني هو – مع عدد كبير من أصدقائه وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبرغم أننا فى الجزء الأول من السهرة كنا مندبجين فى سماع أعنية « أسمع . . اسمع لما أقول لك » . . وهى التى كانت تمثل وقتها أحدث أغنيات فريد الأطرش . . فإن زوجتى – أم أمين – كانت مبهورة تماماً بوجود الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبينها كنا نحن مندمجين مع أغنية فريد .. كانت « أم أمين » تتحدث مع الأستاذ عبد الوهاب عن أغانيه التي تعشقها منذ الصغر .

ولكن فريداً كان يأخذ الأمر ببساطة ودعابة وفكاهة .. قائلا لأم أمين : طبعاً يا ست .. أنا حاروح فين جنب عبد الوهاب .. ناس لها بخت وناس مالهاش ..

وفى تلك الليلة عرفت من فريد الأطرش وعنه .. ما أثبتت لى الأيام بعد ذلك صدقة بدرجة مذهلة ، فبعد أن انتهت السهرة وبدأ جميع الأصدقاء الذين تتكون منهم شلة فريد الدائمة نحانى فريد جانباً ونحى من على وجهه تعبير المرح الكامل الذى كان مرتسماً طوال السهرة .. وقال لى فى جدية وحزن يقترب من الكآبة :

تعرف با موجى . . ؟ أهو دلوقت كل دول يخرجوا يتريقوا على . . !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة بدرجة مدهشة .. ولكن كان يَخْفَفْ منها أن فريداً نفسه أول من يعرف ذلك عن معظم الذين كانوا يعتبر ون أنفسهم من أصدقائه .

وبرغم أننى كنت معجباً بفن فريد الأطرش منذ بدايتى المبكرة .. فإن الفن .. أو العلاقة الشخصية لم تجمعنا بين فترات متباعدة كنت أبادر أنا فيها إلى التعبير عن مشاعرى الدائمة نحو فريد الأطرش .. الذي كان يحقق لنفسه – ولنا – صورة مشرفة كفنانين . ربما من أجل هذا كنت قد رشحت نفسي مرة في سنة ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ -

لا أذكر على وجه الدقة - لمنصب رئيس جمعية المؤلفين والملحنين ولكن بمجرد أن علمت أن الأستاذ فريد الأطرش ينوى أن يرشح نفسه .. ذهبت إلى الجمعية وأعلنت تنازلي على الفور .

وربما من أجل هذا أيضًا كان فريد برغم تلاقينا المتباعد يعرف على وجه التأكيد . . وبصفة دائمة . . مشاعرى نحوه .

ولقد حدث فى إحدى المرات التى كنت فيها فى لبنان أن فوجئت ذات صباح بمجلة لبنانية تبرز خبراً يعبر عن نشاطى الجديد .. وبأن على رأس هذا النشاط أن فريد الأطرش سوف يغنى من ألحانى .. بعد أن بدأت فعلا فى إعداد لحن جديد لفريد .

لم يكن للخبر أى أساس من الصحة طبعاً .. ومع ذلك فإننى فضلت فى تلك المرة أن أستنكر الخبر لفريد الأطرش بنفسى .

لقد طلبته فى التليفون وسألته عما إذا كان قد قرأ الخبر ؟ .. فأجابنى بالنفى . وبمجرد أن شرحت له ما حدث .. وقبل أن أعلن له أنه لا أساس للخبر على الإطلاق فوجئت بفريد يقاطعنى ضاحكاً وهو يقول .. يا ريت .. والله يا محمد وحياة أمى أقول لك من كل قلبى يا ريت وأنا مستعد أغنى من ألحانك فوراً .

كان فريد فناناً بسيطاً وكان فريد أيضاً إنساناً بسيطاً ..

فقبل وفاته بأشهر قليلة كان أحد المنتجين السينائين قد استدعانى إلى بير وت للانتهاء من تلحين أغنية للفنانة صباح .. ولأن الانتهاء من تنفيذ اللحن لا يستغرق فى العادة أكثر من أسبوع .. فقد اتفق المنتج مع الفندق فعلا على تغطية مصر وفاتى لمدة أسبوع . ولكنى لسبب أو لآخر لا شأن لى به .. ، امتدت مدة تنفيذ وتسجيل الأغنية الى خمسة عشر بوماً ..

وفوجئت صباح يوم سقرى بمصروفات إضافية ضخمة يجب أن أدفعها . وتحيرت ماذا أفعل . . فلم يكن قد بئي معى ولا ليرة واحدة . ووجدت نفسي أرفع سهاعة التليفون وأطلب فريد الأطرش .

إننى لم أفكر في أن أطلب المنتج .. ولا حتى في أن أطلب الفنانة صباح .. ولكننى بدلا من ذلك وجدت نفسي أطلب فريد .. وأقص عليه ما حدث .

وفى خلال عشر دقائق كان فريد قد أرسل إلى سكرتيرته حاملة إلى مبلغاً هو ضعف المبلغ الذي يجب على أن أدفعه .

وعدت إلى القاهرة عارضًا على فريد رد المبلغ فى أول مرة رأيته فيها .. ولكنه رفض بإصرار وبعد وفاته اخبرت المحيطين بفريد الأطرش بالقصة وبرغبتي فى تسديد المبلغ ولكنهم رفضوا أيضاً قائلين : ما دامت تلك رغبة فريد فهى رغبتنا أيضاً . .

وفي مرة أخرى تكررت نفس القصة ولكن مع فرقة موسيقية بأكملها . .

كانت الفرقة الماسية سحيى بعض الحفلات في « دبي » وفي طريق عودة أعضاء الفرقة وكان عددهم حوالى الثلاثين من دبي إلى القاهرة توقفت بهم الطائرة في بيروت وأصبح عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى من بيروت إلى القاهرة .

وكانت أول طائرة إلى القاهرة هي في اليوم التالي . .

واحتار أفراد الفرقة .. ووقعوا في مشكلة .. لأنهم لم يكونوا يحتفظون بأية نقود في عودتهم وأصبح عليهم فجأة أن يقضوا في بيروت ليلة على نفقتهم الخاصة .

وتجمع أفراد الفرقة فى فندق بريستول ليتدبروا ماذا يفعلون . وبينها هم يتشاورون إذا بفريد الاطرش يواهم صدفة فى أثناء خروجه من الفندق وبمجرد أن علم بالمشكلة أصر على أن ينزل الجميع فى فندق بريستول على نفقته الخاصة .

وفى تلك الليلة نفسها .. فوجئ أعضاء الفرقة أيضًا بأن فريد قد أعد لهم مأدبة ضخمة . تكفى لمائة فرد لا لئلاثين فى مطعم اليلد زلار المشهور .

كان هذا هو فريد الإنسان ..

وكان فريد الفنان هو بنفس القدر من البساطة والوضوح ..

لقد وجدت نفسى فى مطلع حياتى متأثراً للغاية بفريد الأطرش .. إلى درجة أننى بعدوى حزنه على وفاة أخته المرحومة أسمهان أتمنى لو كنت أنا قد لحنت لها ...

وفريد الأطرش بدأ حياته الفنية بالعمل مع بديعة مصابنى .. وشاءت الصدف بعد ذلك أن أبدأ أنا الآخر حياتى الفنية بالعمل مع صفية حلمى .. وهى التي كانت التلميذة الأولى لبديعة مصابني .

وعندما بدأت أحصل على أول أجر لى فى كازينو كوبانا الذى كانت تملكه صفية حلمى .. كان الأجر هو مجرد عشرة قروش فى الليلة ولكن الأمر كله هان على لأن فريدا بدأ حياته عند بديعة بأجر أقل من ذلك الذى أبدأ به أنا عند صفية فى سنة 1989.

إن الفتان لا بد أن يعطى أولا ويعطى الكثير – قبل أن يأخذ .

والفنان لا بد أن يعيش الحياة في أكثر نقطها انحفاضًا .. قبل أن يجرب الحياة بعد ذلك .. عند أكثر نقطها ارتفاعاً ..

والفنان لا يمكن أن يكون أبداً «خلفة شيطانى » إن جذ وره يجب أن تمتد فى الأرض فإذا أراد لفنه بعد ذلك أن يعبر عن الناس فلا بد أولا أن يخرج من الناس .. ولقد استطاع فريد أن يخرج من الناس لكى يعبر بعد ذلك عنهم .. بل إننى أعتقد أن فريداً لم يحصل فى حياته على فرصته الكاملة فى التعبير عن الناس . . ولو تحققت تلك الفرصة فى حياته لكانت النتيجة بعد ذلك مدهشة .

ذلك لأن فريداً الأطرش كان أحسن من يصلح للمسرح الغنائي .

إننى شخصيًّا أعتقد أن الكازينو الذى أقامه فريد الأطرش فى بيروت وانتقده فى ذلك كثيرون .. كان المقصود به أن يكون مسرحاً استعراضيًّا .. ولكنه أخطأ الطريق فى نقطة ما .. بحيث استقر عند كونه مجرد ملهى ليلى .

لقدكان فريد بطبيعته فناناً مسرحيًا ..

إنه مبدئيًّا يعتبر واحداً من أحسن الذين قدموا ألحاناً استعراضية للمسرح الغنائي . . . ان دليلي الواضح في ذلك هو ألحانه الاستعراضية التي قدمها في أفلامه السيائية ، ولو ضربت مثلا واحداً على ذلك فسوف اختار استعراض « بساط الربح » . . الذي لا يتجاوز مدته ربع الساعة أو ربما عشر دقائق، في تلك الدقائق العشر جمع فريد كل فنون المنطقة العربية تقربيًا .

إن هذا الاستعراض نفسه يحمل بذرة المسرحية الاستعراضية الغنائية الكاملة .. وبالإضافة إلى ذلك فإن فريد كان يملك « النفس الطويل » الذي يعتبر شرطاً جوهرياً للنجاح في المسرح الغنائي إنه كان من الفنانين القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات متواصلة .

كان فريد يمتلك النفس الطويل مسرحيًّا ... وكان يمتلك الحضور المسرحى .. والجرأة الضرورية لكل فنان يواجه الجمهور من فوق مسرح ... وكان يمتلك حتى ٥ الوقفة المسرحية ٤ إن من يلاحظ الاستعراضات الغنائية التي قدمها فريد في السيها يلاحظ مدى قدرته على إقناع المتفرج بأنه يغني من فوق مسرح محتشد بالجمهور .. وليس من داخل بلاتوه يخلو تماماً من الجمهور ..

إن من يرى كل هذا ويجمعه معاً .. يحصل فى النهاية على نموذج كامل لفنان اختار منذ مولده أن يكون فناناً مسرحيًا ... ومع ذلك فإن هذا لم يحدث فى حالة فريد الأطرش بغير سبب واحد مفهوم ندريه أو نعلمه .

وكان فريد نموذجاً فريداً حقًا للفنان الذي يعطيه فنه قوة إضافية مدهشة .. إن فريداً المطرب والملحن استطاع أن يهز فاروق الملك والسلطان بأغنية واحدة اسمها نورا .. يا نورا . وإلى جانب أن هذه كانت غالباً ميزة مضافة وكبيرة في فن فريد الأطرش فإنها كانت في بعض الأحيان ميزة مخصومة منه .

فلقد ترتب على اندماج فريد العاطني في فنه حتى النهاية . . أن أضني على أغانيه

طابعا حزينا مميزا.

لقد كان هذا أمراً غريباً ومحيراً فى الوقت نفسه . ففريد ، كفنان وإنسان كان يتذكر ماضيه بحب . . وفى الوقت نفسه كان يعيش حاضره بابتهاج ومرح وتفاؤل وحب ، ولكن عندما كان الأمريصل إلى المستقبل فإن هذا الإنسان البسيط المرح . . كان يتحول إلى إنسان آخر يخلو من البساطة أو التفاؤل والمرح .

ما هو السبب بالضبط ؟

لا أعرف .

إن فريد الأطرش الفنان كان متميزاً من نواح كثيرة على المستوى الإنساني .. وعلى المستوى الأنساني في المستوى الفني فإنني أعتقد أن قيمة فريد كمطرب تأتى في الدرجة الأولى قبل قيمته كملحن .

بدئيل أنه لم يمانع أبداً يلى رحب فى كثير من الأحيان بأن يغنى بصوته من ألحان غيره ... ولو كان هذا قد حدث فأعتقد أن الملحنين الآخرين كانوا سيبر زون جوانب أخرى ممتعة فى صوت فريد الأطرش قد لا يكون هو قد تنبه لها .. أو ربما يكون التفسير موجوداً بشكل آخر .. فربما لم يجد فريد مثلا من يستثمر صوته أحسن منه .. فقر رأن يركز على استثاره ..

ولكن حتى مع وجود هذا التفسير فإننى ما زلت أكرر اعتقادى بأن استسلام فريد المطرب لفريد الملحن لفريد الإنسان .. جعل معظم أغانيه تخرج فى النهاية حزينة بالشكل الذى لمسناه جميعاً ، وحتى فى الحالات القليلة التى كان فريد يؤدى فيها ألحاناً

هى بطبيعتها تعبير عن مواقف مرحة وموسيق مرحة فإنه كان يؤديها أيضا بصوت فيه من الحزن الدفين قدر كبير.

إن أقرب مثل أتذكره لذلك هو أغنية « دقوا المزاهر ياللا . . » في تلك الأغنية لا يستطيع إنسان أن ينقل الحزن المكتوم في صوت فريد حتى في موقف غير حزين .

هل كان السبب هو وجود شرخ عاطني عميق في نفس فريد الأطرش ؟ هاركان السبب هو حزنه العميق على وفاة أخته أسمهان ؟

هل كان السبب هو إحساسه بأن كل العواطف التي يراها امامه وحولها مزيفة وكاذبة ؟ إن فريداً الأطرش كان فناناً صادقاً .. وإنساناً صادقاً .. وسط إطار يخلو منه الصدق تماماً ، بل يملؤه الكذب تماماً .

إننى لم أر إنساناً طيباً ومخلصاً وصادقاً فى مشاعره بمثل ما رأبت فريداً الأطرش .. كان فريد صادقاً للغاية حتى فى الطريقة التى يصافح بها أو يقبل بها صديقاً له .. إن اليد الممتدة .. والكلمة المرحبة والابتسامة الصافية .. كلها تؤكد أن صاحبها لا يفتعل شيئاً ليس فيه . . ولا يرتدى قناعاً على عواطف يخلومنها . . ولا يرسم على وجهه ترحيباً لا يحس هو به .

ربما من أجل هذا لم يكن فريد الأطرش ناجحاً كممثل . إن التمثيل لم يكن من طبعه .. وبالإضافة إلى ذلك فإن التمثيل كان يتنافى أصلا مع طبيعة شخصيته . والذين شاهدوا أفلام فريد الأطرش ، وهي عموماً كانت أفلاماً ناجحة جدًّا من الناحية التجارية ، فإنه كان يشاهدها سعيًا وراء صوت وموسيقى فريد الأطرش ، وليس سعيًا وراء تمثيله .

ولم يكن فريد وحده فى ذلك .. محمد عبد الوهاب نفسه حدثت له التجربة نفسها فى السينا . أنا أيضاً حاولت مرة أو مرتين . ولكن فريداً استمر فى السينا مدة أطول لأن الممارسة تؤدى إلى مزيد من الممارسة .

ومع كل فيلم جديد لفريد .. كان الإنسان يحس أن النجاح هو أولا نجاح فنى قبل أن يكون نجاحاً تمثيليًا .. وكان يشفع لفريد فى ذلك أن المتفرج كان يحس فى كل مرة أنه أمام فنان حقيقى وصادق « تورط » فى أن يكون ممثلا .. أو أصبح ممثلا بحكم الضرورة ، وليس بحكم الهواية والقدرة !

لقد طغى صوت فريد الأطرش وموسيقاه على أى جانب آخر فى فنه . وليس صدفة أبداً أن تظل أغنية «الربيع » هى الأغنية الأولى المعبرة فعلا عن الربيع طوال أكثر من خمس وعشرين سنة ! فنى تلك الأغنية يستطيع الإنسان أن يشم فعلا رائحة الورد والنسيم والربيع منذ أول دقيقة ! لقد اعتدنا جميعاً أن يكون هذا اللحن هو أول جزء أساسى من استقبالنا للربيع فى كل سنة . وطوال تلك الفترة ، وهى طويلة فعلا ، لم يستطع أى فنان آخر أن يقدم بديلا يتفوق على تلك الأغنية . أو يقترب من تأثيرها .

إن ما سوف يبقى من فريد الفنان هو الشيء الكثير جداً . يكنى أسرب هنا نماذج بأبرز الأعمال الغنائية التي قدمها لنا على امتداد سنوات طويلة . وعلى رأسها مثلا : حبيب العمر . أول همسة . الربيع . حكاية غرامي . . إلخ .

إن فريد الأطرش يمكن تلخيص حكايته كلها في أغنية واحدة منها هي أغنية اغنية وحكاية غرامي » .. لأنها كانت تمثل فعلا حكايته الشخصية . إنها لم تمثل حكايته مع امرأة محددة . أو حالة واحدة . ولكنها مثلت حكايته مع كل امرأة .. ومع المرأة بصفة عامة .. بحيث كان يجب أن يسميها «حكاية حكايتي» مثلا .. وليس «حكاية غرامي»!

ولقد أثر فريد الأطرش بموسيقاه في كثيرين من الذين عاصروه .. بشكل أكبر جدًّا من تأثره هوبالذين عاضروه !

وكان فريد فى موسيقاه صورة صادقة لفريد فى عواطفه . وحتى فى الحالات التى كان فريد يلحن فيها لغيره .. فإنه لم يكن يبخل مطلقاً فى تدفق عواطفه هو على اللحن

الذى يقدمه . ذلك لأن فريداً كان رمزاً للفنان الذى يعمل من أجل الفن .. وليس من أجل دوافع أكثر عملية من ذلك !

إن أصدق صورة لذلك .. كانت هي صورة فريد حينا يعزف على عوده مع الفرقة الموسقية في أية أغنية يقدمها .

فن الناحية الشكلية كان الإنسان يحس أن فريداً حنون على الفرقة الموسيقية بأكملها .. وأنه يتعامل معها موسيقيًّا وفنيًّا باعتبارها جزءً أساسيًّا منه ، وليس جزءًا خارجاً عنه .. هذا بالزغم من أن فريداً كانت له قيمته الخاصة ، وربما الكافية ، كعازف على العود .

وحينها كان فريد يعزف على العود . فإنه كان نموذجًا للفنان من ناحية .. ونموذجًا للفنان الذي يعطى صورة مشرفة للموسيق الشرقية من ناحية أخرى .

لقد كان فريد واحداً من أبرز الذين أحبوا الموسيقى الشرقية وحافظوا عليها .. وعملوا على تحقيق التطور من خلالها . إن مسألة الخروج بموسيقانا إلى العالم قد شغلته طبعاً .. ولكنه كان مؤمناً بأن خروجنا بالموسيقى إلى العالم لا يجب أن يكون على حساب تمسكنا بطابعنا الشرقى الخاص المتميز .. إنه كان يردد أننا لو خرجنا إلى العالم ، حتى ولو باطقطوقة » .. أو أغنية صغيرة .. فإن هذا يصلح كبداية صادقة وناجحة .

وفريد الأطرش لم يكن أبداً ضد تطوير الموسيق الشرقية . . وهو لم يكن أيضاً ضد إدخال بعض الآلات الغربية في الموسيق الشرقية . . ولكن المسألة كلها أنه كان يرى أننا لا بد أن نوظف الآلة الغربية في موسيقانا بشكل يخدمنا نحن قبل أن يخدم الآلة نفسها .

ولقد كان فريد الأطرش نفسه أول من حقق ذلك على مستوى عظيم مشرف للفن والفنانين . والواقع أن فريداً الأطرش كان فناناً لا يتكرر .

هربزى فريتر اللفطريث

بقلم: أحمد فؤاد حسن

الخطاب الأول

« عز يزى الراحل ..

كتبت لك هذه الرسالة في صيف العام الماضي ..

وقررت أن أنشرها مع بداية العام الجديد ..

ولم أكن أدرى أنك لن تقرأها أبداً

فقد رحلت عنا إلى الأبد

وجلست أحاول تحويرها لأخاطب فريداً الراحل ..

وعبثاً حاولت ...!

وها هي ذي كما كتبتها تماماً . وأنت معنا . .

لأنني أحس دائماً أنك معنا .

- ه بفنك .
- ه يوفائك .
- « بصداقتك الصادقة التي لا تموت » .

.....كما أن الزواج والاستقرار يا عزيزى فريدكانا أبعد شيء عن حياتى ... ولم يخطرا على بالى قط . فأصبحا أمراً واقعاً وأصبحاً حياتى كلها . فكذلك صداقتنا كانت فى يوم ما أبعد شيء عن حياتى . . فأصبحت صداقة من نوع جديد . . فريد . .

صدقنى يا عزيزى أننى وكل جيلى الجديد من الموسيقيين (الذى أصبح ليس جديد، الآن). كنا وقتئذ ننظر إليك كما كان ينظر الضباط الأحرار إلى الأسرة المالكة قبل الثورة ... لماذا ؟

أقول لك لماذا

كان جانب الكفاح في حياتك خافياً علينا!

حينها بدأت حياتنا الفنية العملية لم نكن نعرف عن فريد الأطرش غير أنه فنان أرستقراطي النزعة .

لم نعرف عن فريد الأطرش غير أنه يسكن فى برج عاجى ملكى فوق قمة عمارته الشاهقة فى أجمل موقع على نيل القاهرة يستقبل فيه أصدقاءه من الأمراء والوزراء والحكام فى العالم العربى ..

ويمارس فيه ومنه هواياته الارستقراطية على أعلى المستويات . النساء ... الخيول ... اللعب ...

وصدقنى أيضًا يا عزيزى فريد – أن هذه الصورة الفاخرة أبعدت عن آذاننا الغضة التى كانت تلتقط كل شيء حينئذ ... أبعدت عنها روائعك اللحنية الأولى .. وصوتك السليم الذي لا يهرم .

أبعدت الصورة الأرستقراطية الفاخرة .. ألحانك ... وصوتك عنا .. ولكن إلى حين . وتمضى الأيام ...

وتكتسب الأعواد الطرية صلابة .. وتصبح البراعم الفنية زهوراً فواحة . تنشر العطر حولها أينها تحل ...

وبدأت أنت التقارب ...

بدأته بتجربتك الكبيرة ... وذوقك البالغ الرقة إذ جاءني يوماً صديق لى ولك يقول :

- الأستاذ فريد قال فيك أمس كلاماً كبيراً ...
 - الأستاذ فريد الأطرش ... وماذا قال ... ؟
- -- قال إن أحمد فؤاد حسن قدم للموسيق ... وقدم للموسيقين ...

وفعل كذا .. وكذا .. وإننى سوف أكون سعيداً جدًّا إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً جدًّا إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً جدًّا إذا نفذ لى موسيقاى ... وألحانى ... وكان اللقاء على يد الصديق العزيز الأستاذ جلال معوض ... والمناسبة حفلة أضواء

المدينة فى افتتاح مشروع السد العالى فى يناير ١٩٦٠ . فى أسوان .

وكما جمعت هذه الحفلة نجوم السياسة العالمية ... فقد جمعت نجوم الغناء فى الشرق العربى وكان الجو الفنى فى هذا الوقت راثقاً بلا شوائب .. صافيًا بلا غيوم .. فكنت ترى فى الحفلة الواحدة العديد من النجوم ... كنت ترى الحفلة تجمع فريداً وحلياً ووردة وشادية وفايزة وصباح ونجاة وفايدة وشهرزاد وقنديل وطلب وغيرهم .. وتمر الحفلة بلا أية متاعب ولا احتكاكات .

أما اليوم وللأسف ، فيجب أن تكون كسينجرى المواهب لكى تستطيع أن تجمع اثنين من هؤلاء النجــوم في حفلة غنائية واحدة ..

إن لم يكن في حفلة استقبال واحدة ...

وعندما تقابلنا فنيًّا أولا . . ثم دعوتني كصديق إلى بيتك ومحافلك . . وجالستك . . وعاشرتك صدقت المثل الشعبي العميق المعني .

- تعرف فلان ؟
 - أيوه .
 - عاشرته ؟
 - . ¥ -
- يبقى ما تعرفوش .

نعم يا عزيزى الصديق قريد . . فعندما عاشرتك زال الغلاف المفتعل الذى كان يحيط بصورتك . . و بطء و بعمق ، و بغيط بصورتك . . و بألحانك . . وأخذ التقارب بيننا ينمو ببطء و بعمق ، و بفهم . حتى أصبح صداقة أكبر من الصداقة . . وأخوة وأعمق من الأخوة .

لم تستطع الخلافات الفنية الطارثة أن تؤثر فى هذه العلاقة بل ان كل خلاف ، ولو أدى إلى الانفصال الفنى بيننا ، كان يدفعنا إلى التقارب الأكثر . . حتى نؤكد لنفسينا وللناس أن علاقتنا أقوى من أى شيء .

وأصبح لا يمكن أن يجمعنا بلد واحد بدون أن نكون معاً يوميًا فى القاهرة . . فى بيروت . . فى لندن فى باريس . . فى الأردن . . فى المغرب . . فى الخرطوم . . فى الكويت . . فى ليبيا . .

ومن هذا الرباط القوى المتين . . ومن خلال هذه المعايشة الدائمة أعتقد أننى أستطيع أن أكتب لك فى ما يعن لى حول فريد الأطرش الفنان . . وفريد الأطرش الإنسان . .

یا عزیزی فرید . . .

لا شك أن لك قصة كفاح كبرى فى بدء حياتك الفنية تتواكب مع هجرتك إلى عاصمة الفن القاهرة . . أنت والمرحومة والدتك . . والمرحومة ذهبية الصوت وفقيدة الغناء العربي أسمهان أختك ، وأخوك العتيد فؤاد . . .

عملك كباتع بسيط فى محلات بلاتشى بالموسكى بستة جنيهات شهريًا ، عملك فى كازينو بديعة مغنياً وملحناً بما يوازى هذا المبلغ تقريباً ، إلى نهاية هذه السلسلة من شق الصخر . والتي لا يمكن لفنان مرموق له مكانته فى غابة الفن (عفواً أقصد فى عالم الفن) إلا أن يمر بها ويتجاوزها .

وأنتجت هذه المعاناة بالطبع مجموعة لحنية أصبحت في وقت ما قوتاً يوميًّا

للجماهير العربية من المحيط إلى الخليج.

« مجموعة الموسيق الراقصة » .

« مجموعة الأوبريتات الفيلمية » . . . وهى فى رأبي ثروة لحنية يمكن الآن والآن بالذات . . أن تحول إلى أعمال مسرحية . . وقد يبدو هذا المشروع خياليًّا ولكن أين هو المشروع الناجع الذي لم يبدأ بالتصور والتخيل .

« مجموعة الأغانى القصيرة الخفيفة من أول « ياريتني طير » إلى « يابو ضحكة جنان » .

« مجموعة الأغانى الكبيرة . وعلى قمتها هاتان الأغنيتان ، بل هاتان الظاهرتان الفنيتان » .

١ - الربيع .

٢ – أول همسة .

ولا أعتقد أن مطرباً فى العالم العربى ، بل فى العالم كله قد واتته الجرأة على أن يظل يغنى على المسارح ، أغنية ما ، لمدة ربع قرن أو يزيد كما غنيت أنت هاتين الأغنيتين وكأنك كنت تعرف النتيجة تماماً فى كل مرة . . .

وكم كان أصدقاؤك يشفقون عليك . وعلى نتيجة هذه الجرأة الفائقة في كل مرة تنوى فها غناء احداهما .

ولكن ما يحدث من استقبال الجماهير لهما وتفاعله معهما دائماً كان شيئاً مذهلا . بل هو ظاهرة فنية تدعو للدراسة والتحليل .

هل هى الألحان . . هل هو صوتك . . هل هو ارتباط كل لحن منهما بذكريات معينة لكل فرد من هذا الجمهور العريض ؟

أعترف أنني لست أدرى . . .

وأعترف أيضاً أنني في كل مرة أستمع فيها إلى أحد اللحنين أطرب وأحس بما

يشبه الألفة . . والصداقة التي تجمع بين إنسان . . وشيء غامض ما . . .

وبرغم أنك يا عزيزى فريد قد احتللت بالتأكيد أحد الأركان الأربعة فى قمة الهرم الفنى فى عالمنا العربى .

وأصبحت عضواً دائماً في نادى القمة الذي تقتصر عضويته الآن على أربعة فقط .

فإن نوعاً من المرارة الفنية ، يقفز إلى لسانك . . ويعذبك مذاقه كلما تدكرت قصتك مع أسطورة الغناء أم كلثوم . زميلتك في عضوية نادى القمة .

« كل ما وصلت إليه يا عزيزى فريد كان فى كفة ، ولحن لك تشدو به أم كلثوم كان فى كفة أخرى وأنا لا ألومك . . فألحان الموسيقار بناته . .

وأبن الأب الذي لا يتمني أن يزوج ابنته لرجل يضمن لها سعادتها وهناءها .

وصوت أم كلثوم يضمن النجاح والانتشار لكل لحن يقترن به . لا ألومك يا عزيزى العزيز في هذا المطلب العادل . . .

ولكن ألومك في الاستمرار فيه . .

فلقد عرضت عرضك وطلبت طلبك وصار للموضوع مباحثات طويلة كالمباحثات المصرية البريطانية أيام زمان إلى أن حدثت القصة التي كان يجب أن تختم الموضوع.

عندما اتصل بك الزميل أحمد الحفناوى يطلب منك الحضور لبيت سيدة الغناء لتسمع منك ما عندك . . وطرت فرحاً . وطرت إلى بيتها حاملا عودك وآمالك وفى المقابلة الفنية الكبيرة استقر رأيها على أغنية (وردة من دمنا) شعر الأخطل الصغير . . وكان لها شرط واحد هو ألا بعلن عن ذلك إلا في حينه عملا بالحديث الشريف (استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكثمان) ولأسباب أخرى لست في حل من ذكرها الآن . .

وحددت ميعاداً لبدء البر وفات . . وعندما حان هذا المعياد تبدد كل ذلك . . وكأن شيئاً لم يكن . . بلا أى سبب معقول . . .

عزيزي الإنسان فريد . . .

قد لا أعدو الحقيقة إذا قلت لك إنك أعجب انسان قابلته في حياتي .

أنت طيب وقاس ،

أنت غنى وفقير ،

أنت صحيح ومريض.

أنت باختصار مجموعة متناقضات تشكل إنساناً لا يملك كل من يعرفه إلا أن يحبه , وإلا أن يشعر أنه لا يستطيع أن ينساه أو يبتعد عنه .

أنت طيب وقاس بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يعيش في مجتمع ، قد اكتسب مع الزمن كنتر ولا معيناً يحدد له مدى صراحته في تعامله مع الناس ، إلا أنت .

فلم تعترف بعد بهذا الكنترول أو لم يتمكن هو من التعايش مع طبيعتك الطفلة . وأنت غني وفقير بدرجة مؤلمة .

فكل إنسان يحدد لنفسه المدى الذى يستطيع أن ينفق فيه والمدى الذى يستطيع أن يدخره لأيامه المقبلة . . . إلا أنت فقد شاهدتك بنفسى تفقد عشرات الألوف في لملة واحدة .

وحضرتك بنفسى وأنت تطلب أن تعمل وأن تلحن وتغنى للإذاعة والتليفزيون لتستطيع أن تدفع ديونك وتعيش .

وأنت صحيح ومريض بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يخاف على نفسه وتتملكه غريزة البقاء إذا ما أتاه النذير بخطر معين على صحته ويبدأ في تلافى جميع الأسباب التي أدت إلى هذا الخطر الذي يهدده ، إلا أنت .

فعندما ينصحك الناصحون تقول لهم ضاحكاً:

﴿ إِنِّي مُؤْمِنَ أَنَ اللَّهَ لَنَ يَمُهَلِّنِي سَاعَةً وَاحْدَةً عَنَ المِّيعَادُ الَّذِي حَدْدُهُ لوفاتي سواء

أكنت ، مريضاً أم صحيحاً » ثم تضيف مقهقها : أتدرون ماذا حدث للطبيب الذى حدد لى عاماً واحداً أعيشه بعد أزمة القلب الأولى التي حدثت لى . . لقد مات هو بعدها بقليل وعشت أنا عشر سنوات أخرى ومن يدرى كم سأعيش أيضاً .

بقیت لی یا عزیزی فرید نقطة واحدة فی حیاتك كانسان . نقطة خاصة جدًّا . يمكن أن تملأ كتاباً كاملا . . و يمكن أن نختار لها عنواناً (فرید والنساء) أو (فرید والزواج) .

ولكنى هنا . وفى هذه الرسالة القصيرة سأقول رأيك أنت فى هذا الموضوع ثم رأى الناس . . ثم رأى أنا .

- ١ رأيك أنت يا عزيزى أنه وعلى كثرة من عرفت من النساء . . من مختلف صنوف النساء لم تعثر على المخلوقة التى تستطيع أن تشدك من عالمك الحافل بكل ألوان المتعة ، و بكل مباهج الحياة ، وأن تعوضك داخل سجن الزواج الذهبى . . عن دنياك الرحبة الفسيحة الحاشدة بمثات الأصدقاء من كل جنس ولون .
- ٧ رأى الناس عموماً : وأصدقاؤك خصوصاً أنك أبعد الناس عن الزواج . . ولا سيا
 الآن . . . وأنك ستجنى على من ستتزوجها . . وأنك لن تستطيع بأى حال من
 الأحوال أن تعرف الفرق بين الحياة الزوجية بكل قدسيتها . . وبكل قيودها . .
 وبين الحياة الحرة . . وخصوصاً حياتك أنت بالذات .
- ٣ رأبي أنا : يا أخى العزيز فريد . . . أنك كنت مع النساء كلاعب كرة القدم يجرى بكل حواسه وطاقته وراء الكرة . وعندما تكون في متناوله يتخلص منها بسرعة إلى لاعب آخر . . . وهكذا دواليك .

والآن . . هل تستطيع أن تكسر قواعد اللعبة وتحتفظ بالكرة وتجرى بها خارج الملعب . . إلى بيتك . . هل تستطيع . . . ؟

إن كنت تستطيع فافعل فوراً وبسرعة .

لا تستمع إلى من يحاولون إثناءك عن عزمك . . ولو كانوا أقرب الناس إليك . . اعزم فوراً . . وتوكل . . وأنا واثق أنك ستبدأ حياة جديدة . . جديدة فى كل شيء . . وستفتح باباً إلى دنيا من الإلهام والإبداع الفنى . . سترضيك .

وترضى جمهورك العريض .

وترضى معشوقتنا الإلهية الأبدية :

« الموسيقي » .



الخطاب الثانى

عزيزي الغائب . .

بلا وعي . . وبدون مقارنة . . وبرغم أنني لا أمسك القلم لأكتب إلا كل حين . . فقد وجدت نفسي بحاجة لأن أتحدثك إليك .

وهأنذا أكتب إليك مرة أخرى .

حقًا . . اختلفت المرتان اختلافاً كبيراً .

فنى المرة الأولى كنت موجوداً بيننا . . كنت موجوداً . . حاضراً . . تملأ الدنيا حواليك بهجة ومرحاً وانطلاقاً . وهذه ليست مبالغة .

إنها الحقيقة . . فهذا هو أنت يا فريد . . أو ما كنت .

أنت لم تكن تطيق لليل نهاية . . ولا تطيق للنهار وجوداً . . لا تعترف بانفصال مؤقت بينك وبين من تحب . إنك تريدهم معك دوماً . . يضحكون . . يمرحون . . يلعبون . . يستمعون إلى ألحانك وصوتك . . وتستمع معهم ، وكأنك تستمع إلى إنسان آخر . وألحان تسمعها لأول مرة . . تطرب لها وتعجب بها .

وفي هذه المرة . . أنت غائب . . بعيد . . في عالم آخر مجهول ، مجهول .

إبهى وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدث معك . . أو أكتب لك . . وأنت في هذا العالم المجهول وبي ثقة غريبة أنك تسمعني أو تقرأ لي .

9 154

لست أدرى . . ولست أريد الخوض فى فلسفيات روحية . . أو البحث فى ما وراء الطبيعة . . ولكن هذا هو ما أحسه . . وأصدق ما تملك فى حياتنا هو الإحساس .

أتذكر يا عزيزى فريد عندما كنت أنصحك أن تدخر لغدك شيئاً ينفعك وقت أن ينفض السامر . . ويتفرق الناس من حول الفنان عندما ينطفئ بريقه .

قطعة أرض . . عمارة . . أى شيء من هذا القبيل وأقول لك لقد أضعت الملايين . . واستمتعت بكل شيء وعشت ما عشت من حياتك بالطول وبالعرض .

فلا أقل من أن تعمل حساباً لأيام الجفاف الفني . .

وتقول لى فى ثقة غريبة لن أعيش أيام جفاف فنى . . وسأموت كما عشت أستمتع بحياتى حتى آخر لحظة . . ولن أترك شيئاً . . ولن أترك من بعدى . . ؟ أنهم سينسوننى ويتصارعون فى سبيل ما تركته فلأرح نفسى وأريحهم .

صدقت يا فريد . . فما حدث بعد ذهابك . . كان مأساة أخرى . . برغم قلة ما تركته نسبيًّا . . برغم قلة ما تركته نسبيًّا . . برغم قلة ما لم يمهلك القدر لتصرفه . . فقد أحدث معارك . . وفرقعات بين الإخوة . . وبين الأصدقاء والصديقات . . وظهر لك أقارب وأبناء وحفدة يعلم الله أين كأنوا في حياتك وخاضت الصحف في هذا الموضوع السيئ . . وأفردت له صفحات وصفحات وأعداد خاصة وعامة .

وأمرح يا عزيزى فريد وأطرب . . فقد لحقك الحسد حتى وأنت ذكرى . . حتى وأنت ف عالمك المجهول ولكنه حسد نبيل جميل واسمع القصة بأكملها في لقاء لى مع الفنان الكبير . . المهندس الملحن أحمد صدقى والذى أقبل بكل طاقته الفنية وإمكانياته الإبداعية في هندسة البناء والفن التشكيلي . . أقبل على إعادة بناء مقبرة جديدة رائعة تضم رفاتك . . وأختك ذهبية الصوت أسمهان .

فى هذا اللقاء قال لى أحمد صدق . . إنني أحسد هذا الرجل . . . أحسد فريد الأطرش . قطعاً إنه عمل خيراً كثيراً .

قطعاً إنه قريب من الله . . .

هل تتصور أنه للآن وبعــد مرور شهور على وفاته لا يمر يوم واحد . . إلا ويأتى لزيارته أشخاص مجهولون . سيارات تقف وينزل منها راكبوها ليقرءوا ويقرءوا على روحه

بعضاً من آيات الله . . أناس مختلفو الشخصيات يأتون جماعات وفرادى ليتصدقوا على روحه ويقرأوا له الفاتحة . . وهذه الحسناء الغامضة . . الملتفة بعباءة فضفاضة من الحرير الأسود . . لا يمر يوم إلا وتوقف سيارتها بعيداً . . وتأتى إلى القبر لكى تضع باقة من الزهور . . ثم تنسحب في هدوء .

وكما وجدت نفسى يا فريد بحاجة إلى أن أكلمك . . أو أكتب لك . . وجدت نفسى وقد فرغ منى الكلام . . و لم أملك إلا أن أقول لك : إلى اللقاء .

أحمد فؤاد حسن



النهاعالان المستاهي

- عمرد لطفی بقلم : محمرد لطفی

	•			
			٠.	
		•		



كانت المسافة التي تفصلني عن فريد الأطرش هي نفسها المسافة التي تفصل بين الجمهور . . وبين الفنان !

كنت واحداً من جمهوره . . وواحداً من المعجبين بفنه .

ثم التقيت بفريد معنوياً قبل أن ألتتي به في الواقع بخمس عشرة سنة !

لقد تم اللقاء بغير موعد . . وانتهى بغير وداع . . ومن يومها لم بخرج فريدمن قلى دقيقة واحدة !

كنت مجرد تلميذ فى البكالوريا (الثانوية العامة الآن) . . وفى ذلك اليوم من صيف سنة ١٩٤٤ كنت أضع أذنى على جهاز الراديو ، مثل الآف غيرى .

إننا لم نكن متلهفين على سماع فقرة إذاعية ، أوحتى أغنية . . فالخبر الذى نحن جميعاً في انتظاره . . كان هو أحلى أغنية !

فعلى عادة الإذاعة وقتها . . كان يوم إعلان النتجة . . هو اليوم الذى تذيع فيه الإذاعة أرقام جلوس الطلبة الناجحين . . كأسرع طريقة فى نقل خبر النجاح اليوم .

وانتظرنا الإذاعة بقلوب ترتعش . . وصبر فارغ .

كان الوقت هو الثالثة عصراً . . والمكان هو شبين الكوم عاصمة محافظة المنوفية . لقد إنتي المذيع من قراءة نشرة الأخبار ، ثم بدأ في التعليق على الأنباء ، ثم انتمى التعليق على النبأ ، ثم. .

غنى فريد الأطرش .

كانت الأغنية وقتها هي : عشك يا بلبل !

وكان إحساسى بالأغنية مؤجلا تماماً ، لأننى أريد أن أطمئن بسرعة على مصيرى بين الناجحين .

ثم بدأت الإذاعة . وعرفت خبر نجاحى ، وبعدها . . عدت من جديد إلى إحساسي بأغنية فريد الأطرش !

من يومها أصبح فى داخلى إحساس غامض وعام بالتفاؤل من أى شيء يوجد فيه فريد الأطرش ! إننى لم أكن أعلم بعد أن الظروف سوف تشاء لى بعدها بخمس عشرة سنة أن أكون محامياً لفريد . ثم صديقاً له . . وشريكاً له فى « الحلوة والمرة » لمدة خمس عشرة سنة أخرى . . إلى أن انتقل إلى رحمة الله فى ٣٦ ديسمبر سنة ١٩٧٤ .

وخلال تلك الفترة الطويلة أستطيع أن أقول إنى لم أعرف فيه فقط مجرد فنان أو صديق ولكن الأهم من ذلك . أننى عرفت فيه أطيب قلب . . وأرق إنسان . . وأعز أخ .

فى الواقع أن فريد كان يمثل التطرف فى كل شىء : فهو إما صديق . . أو لا . . وإما مخلص محب أو لا . . . وإما يحب أو لا . . . ولكن لم يعرف الخيانة فى حياته . . ولم يعرف الغش فى حياته . . . ولم يعرف الكراهية فى حياته .

كان يحب كل الناس ويتأثر من أية كلمة ولو صغيرة . . كان يصدق أى كلام يقال له . . ليس عن غفلة أو عته ولكن لأنه يثق فى كل من حوله . . ولا يستطيع أن يصدق أنه يوجد إنسان يكذب . . وإذا كان يكذب على كل الناس

فعليه هو لا . . ولكن إذا تأكد فى أى يوم أن صديقاً كذب عليه . . فإن هـــذا الصديق لا يوجد له مكان مجواره . . ولا يقبل منه أى عذر .

كان يحب المواعيد . . ويحترم المواعيد . . ويكره من يزوره من غير ميعاد . . بل إنى رأيته يرفض مقابلة شخصية كبيرة حضرت له دون ميعاد . . ولم أستطع أن أقنعه بأن الرجل لم يعرف رقم تليفونه . . وأنه كان عابراً بالقاهرة ورأى أن يزوره زيارة حب وتقدير . . ورفض .

كان يكره اللثام . . صريحاً يقول ما يعتقد ويقول مايدور بذهنه وعلى الجملة تفكيره كان دائماً بصوت عال . .

كان محبوباً فى العالم العربى حباً لا أستطيع أن أصفه . . كان فى كل مكان حتى فى أوربا تجد المعجبين به وقد أخرجوا صوره من جيوبهم وقد موها له ليوقع عليها . . كان متواضعاً شديد التواضع . . لا يتصرف على أنه فريد الأطرش المشهور . . ولكن كان دائماً فريد الأطرش البسيط . . لأن الشهرة لم تولد عنده نرجسية . .

ولكن كان دائما فريد الاطرش البسيط . . لان الشهرة لم تولد عنده 'نرجسية . . ولم تجعل منه إنساناً معقداً كغالبية المشاهير .

كان يأكل بيده حتى وهو فى أكبر مطاعم باريس . . فى مكسيم . . فى الفوكتس . . بجوار الملوك . . والأمراء . . والعظماء . ويقول يدى خير من الشوكة والسكين . .

كان يحب الأكلات الشعبية والبلدية . الكشرى ولحمة الرأس . . ولسان العجل أو الخروف وقرقوشة الودن . . وهذا يرجع لنشأته الأولى فى حى باب البحر . . وفى حى الظاهر والسكاكيني .

كان يغير ملابسه نادراً برغم وفرتها – فيظل يرتدى «الطاقم » الواحد . . بلوفر وبنطلون . . أو بدلة كاملة لمدة شهر . . حتى يجد من يخانقه ويجبره على التغيير . . كان يتلف جميع ملابسه لأنه وقت الأكل لايعرف ماذا يفعل . . وتجد

جميع قمصانه و بلوفراته مملوءة بالبقع . .

كان يشكو من الوحدة . . ولم يكن يجد صديقاً يجاريه السهر حتى الصباح . . وكان يسهر حتى يصبح الصبح ليطمئن أنه إذا أصابه شيء يجد من يسمع صوته ويغيثه . كان لا يخاف الموت ويقول ابن تسعة لا يموت ابن سبعة . . لكل أجل كتاب . كان مؤمنا إلى درجة عجيبة . . يؤمن بالله . . وبرسله جميعاً . . يضع في صدره القرآن والصليب . . وتمتال العذراء . . ويقول دائماً الدين لله . . كان إذا أحب أى شخص وقر به له لا يعنيه من هو . . أو ابن من هو . . أو ابن من هو . . أو عمله ماهو . . .

كان لا يقبل من أحد أن ينقد أى صديق له . . وإذا حدث واجه الاثنين . . كان يعتقد فى كل الناس الطهارة والصدق ولا يقبل أن يغير رأيه . . وكم قاسى من بعض الذين قربهم له وهم على غير المستوى الواجب . . لمحرد أنه شخصياً مقتنع بهم . وربما تكون آرائى فى فريد الأطرش هنا نتيجة لعاطفة ربطتنى به ، وقد تكون فى النهاية مضطربة لأنها تكتب عقب الحدث الذى هزنى وهز العالم العربى ، ولكنى أستطيع أن أقول إننى أكتب حقائق ، والحقيقة دائما أقوى من أى شيء .

إن فريد الأطرش كان فريداً في كل شيء، له طابعه المميز ، حتى إنني كنت أعبر عن تصرفاته بـ الأطرشيات ».

كان إذا وعد لا يخلف وعداً ، وإذا تكلم لا يقول إلا صدقا ، وإذا لحن لا يعبر إلا عن إحساسه ، وإذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش بصدره . .

كان إذا وعد بشيء ، أو ارتبط بعمل ، ينفذه كأنه كتاب مقدس لا يقبل التحوير أو التحريف . وأذكر أنه عام ١٩٦٢ كان يصور فيلم «حكاية العمركله» من إنتاج رمسيس نجيب وصبحى فرحات وأثناء التصوير استحق له قسط لم يدفعه المنتج فرفض فريد أن ينزل إلى الأستديو حتى يدفع له القسط . .

و برغم المحاولات التي بذلت لحمله على النزول منى ومن غيرى ، فإنه قال إن الارتباط هو ارتباط ، ولابد أن ينفذ غيرى التزامه في موعده . .

وبعد اتصالات عديدة مع الكثير من المشرفين على الفيلم حضر صبحى فرحات إلى منزله وأعطاه المبلغ ، وهنا قال فريد :

- سأكون في الأستديو بعد خمس دقائق . . .

إلا أن صبحي فرحات قال له:

ياأستاذ فريد ، في الحقيقة أن المبلغ اللي أنا جبته استلفته وفيه مبالغ محولة لى من الخارج لم تصل ، وبكره الشغل سيقف لأنه لا يوجد عندى مايكني ، وسأضطر لانتظار التحويل!

فماكان من فريد إلا أن قال له:

ولماذا يتعطل العمل ؟ يلزمك كام ؟

فقال صبحي فرحات:

- عشرة آلاف جنيه ! . .

ودفعها فريد على الفور ، ونزل إلى الأستوديو ، وصور ، واستمر العمل فى الفيلم ، والنتيجة الوحيدة، واضحة ، وهي أن فريد لم يقبض القسط بل دفع فوقه خمسة آلاف جنيه من جيبه ، ولكن ، وبحسب تقديره فإن المنتج نفذ التزامه ، لأن دفع القسط شيء، والقرض شيء آخر . . وهذا هو فريد !

وكان إذا تكلم لا يقول إلا صدقاً ، وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ تلتى طلباً من نيابة المالية بالقاهرة لسؤاله عن مبالغ صرفت له من تليفزيون الكويت ، ولم يقم بتحويلها إلى مصر طبقاً لأحكام قوانين النقد .

وجلست معه أحصر المبالغ التي بالكويت . وما دفعه في لبنان من نفقات لعلاج والدته التي كانت مريضة بأحد المستشفيات ، إلى غير ذلك من الأعباء التي يتكبدها

أى شخص فى مثل مكانة فريد فى المحتمع ، وبعملية حسابية اتضح أن المبلغ الذى أنفقه بالإضافة إلى ماقام بتحويله إلى مصر هو سبعة آلاف دولار ، هكذا سيكون موقفه أمام النيابة المالية سلماً .

وتوجهت معه إلى دار القضاء العالى ، وجلسنا أمام رئيس النيابة الذى بدأ يسأله الأسئلة التقليدية : اسمك ، وسنك ، ومهنتك ، ومحل إقامتك ، فقاطعه الأست ذ فرد وسأله :

قبل كل حاجة عاوز أعرف المبلغ اللي بتسألوا عليه كام؟!

ولما كنت قد اطلعت على الرقم ولم أبلغه به ، فقد قلت له :

- ياأستاذ فريد ، دى أسئلة تقليدية ، لازم تجاوب عليها ، والمبلغ حوالى تسعة عشم ألف دينار !! .

فصرخ فريد :

مذا كذب ا

فقال له رئيس النيابة:

- إزاى بتقول إنه كذب ، والكشف قدامي وثابت منه جميع المبالغ اللي استلمها كل الفنانين في الكويت وأنت منهم ؟ . .

فقال فريد:

أيوه كذب!

وفاجاً رئيس النيابة بأن صحة الرقم هو ستة وعشرين ألف دينار ، أى بزيادة سبعة آلاف دينار !

وحاولت أن أضغط على رجله لكى لا يقول هذا الكلام ، لأن حسابنا مضبوط على تسعة عشر ألف دينار ، فقال باللفظ الواحد :

- أنت بتضغط على رجلي ليه ؟ ! أنا مش حاأغير رأبي . المبلغ زي ماقلت ،

وأن ما اتكتبش كده فى المحضر أنا مش حجاوب على أى سؤال. فوقعت فى ورطة كمحام ، وكان رئيس النيابة لطيفاً معه وقال له :

- أنا حاكتب في المحضر كل اللي بتقوله ، لكن تسمع كلام محاميك !

فقال:

- لا ، أنا مصر على رأبي !

ولكن المفأجاة كانت فى قرار النيابة ، إذ قررت الإفراج عنه بلاضهان ، فى حين أن جميع الفنانين الآخرين أفرجت عنهم النيابة بكفالة تتراوح بين خمسين ومائة جنيه ، وكان هذا انتصاراً له لأنه قرر أن يقول الحقيقة .

وكان إذا لحن لايعبر إلا عن إحساسه ، ولهذا فإن ألحانه تدخل القلب مباشرة ، وحقيقة لا يعرفها الكثيرون ، وهي أن أعذب ألحان فريد كان هو صاحب كلماتها الأولى مثل « حكاية غرامي » و« بنادي عليك » و « سأنني الليل » . فهو كان يخلق كلمات مطلع الأغنية . ويعيش مع الجملة الموسيقية التي تدور في ذهنه ، بل كان يلحن كلاماً أي كلام يكمل به الشطر الذي يتخيله ، ثم يدفع إلى المؤلفين بأفكاره ، ثم في في أيام يصبح اللحن كاملا ، والأغنية في طريقها إلى الأستديو للتسجيل . . .

وكان إذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش به صدره يردد دائماً الأغنية التي تعبر عن الظروف التي يمر بها ، حتى ولوكانت لغيره من المطربين ، وكان في أيام الحفلات العامة يسأل ماذا أغنى في الحفلة ، ويسمع رأبي ، ورأى غيرى ، ثم تبدأ البروفات للحفلة فتجده قد اختار أغنيات بعيدة عن طلباتنا وأسأله : طيب ليه؟ ؟ . ماتقول حاجة من الأغاني الجديدة ، أو تقول الأغنية الفلانية !

فيسكت قليلا ويقول:

- أنا حائني الأغاني الفلانية . . عارف ليه ؟ لأني لازم أقولها . . ما أعرفش ليه .

وكان فريد صريحاً إلى أبعد حدود الصراحة ، ولكن فيا لا يضر أى إنسان . وأذكر أنه في عام ١٩٦٥ ، كنت جالساً معه مساء ذات ليلة في منزله بالجيزة نستعرض الأمور ، وفجأة دق جرس الباب ، وعرفنا أن الزائر هو أحد أصدقائه الأعزاء ، وهو رجل الأعمال محمد بركات وكان دائماً يحب أن يداعب الموسيقار من وقت لآخر ، وبعد أن سلم وجلس ، استأذن الموسيقار ليخلع جلبابه ، ويلبس بنطلوناً وقميصاً ليستقبل به زوار منزله ليلا من الأصدقاء الخلص ، وجلست أنا والسيد بركات نتحدث في بعض الأمور

واقترح بركات أن يداعب الموسيقار كعادته ، فأخبره بقصة سيقولها له بمجرد عودته من غرفة نومه ، وهذه القصة غير حقيقية ، وسيطلب من الموسيقار ألا يخطر بها أحداً . وراهنني السيد بركات بأن الموسيقار سوف يرويها للجميع بعد ساعة على الأكثر من وقت علمه بها !

وحضر الموسيقار الراحل ، وبدأ السيد بركات بروى القصة ، وتتلخص فى أنه عائد لتوه من أوربا . . وأن الطائرة التي كان قادماً عليها اضطرت للهبوط فى روما دون أن يكون هذا فى خط سيرها ، وذلك لأسباب فنية ، وأنه جلس فى مطار روما مدة ساعة وفى أثناء تجوله فى صالة الترانزيت بالمطار صادف أحد رجال الأعمال الألمان ، ووقع معه عقداً على صفقة كبيرة من المواد الكياوية وأنه تليفونياً اتفق مع أحد التجار فى روما على بيعها ، وحققت الصفقة ربحاً قدره ٨٥ ألف جنيه استرلينى ! . .

وجلس رجل الأعمال يشرح للموسيقار كيف أن الإنسان يرزق برغم أنفه وأن القدر يتدخل كثيراً في حياة الإنسان ، سعد فريد جداً لما أصاب صديقه وعبر عن سعادته بقبلة حارة وضعها على جبين الصديق ، وهنا بدأت مداعبة الصديق بركات لفريد ، فقال للموسيقار إنه بمناسبة هذه الصفقة ، واحتفالا بها يجب أن يدعو الموسيقار وجميع ضيوفه في تلك الليلة إلى عشاء فاخر !!

واقترح فريد أن يكون الطبق الأساسي هو الحمام المشوى ، وللعلم فإنه من الأطباق المفضلة إليه ! . .

ووافق رجل الأعمال محمد بركات وتم تنفيذ العزومة كاملة ، وجيء بالحمام المشوى من مطعم معروف ، وبدأت السهرة ، واجتمع جميع الأصدقاء أمام العشاء الفاخر ، وبدأ الموسيقار يحيي ضيوفه ويعطى هذا حمامة ، ويعطى تلك صدراً من حمامه ، ويوزع على كل من يجلس على المائدة أويقف حولها ، وكنت أرقبه أنا والسيد بركات ، ونشعر أنه بتصرفاته هذه يحاول الابتعاد عن قول شيء أو إذاعة مايدور بذهنه وفجأة نطق الموسيقار فقال :

اللي عازمنا محمد بركات عارفين مين اللي عازمنا الليلة ؟؟ . . اللي عازمنا محمد بركات عارفين ليه ؟ لأنه عمل صفقة اليوم ! . .

وبدأ فريد يسردكل التفاصيل التي استحلفه الصديق بركات ألا يذيعها وأن يحتفظ بها سراً . . خوفاً من الحسد وكلام الناس . .

ولكن هذا هو فريد الأطرش ، لا يستطيع أن يفكر إلا بصوت عال ليعطى البرهان دائماً على شفافيته وصفاء نفسه . .

وكان الفنان الراحل يعيش للفن من أجل الفن ، وبعقلية فنان لاتحسب حساباً لشيء إلا للفن ! . .

وعاش فريد الأطرش حياة فنية طويلة قلقاً على فنه ، قلقاً على نفسه ، ضائعاً في خضم طويل واسع لا يعرف له حددواً ولا شواطىء، يبحث عن شيء أعتقد أنه لم مجده

ومع ذلك فلقد كان من صفات فريد الأطرش العناد الشديد حتى لو أضر بنفسه ، ويبدو وأنه في هذا متمثلا بالمثل الدرزي المشهور « عنزة ولو طارت » وأعتقد أن حكاية

هذا المثل معروفة للقارئ اللبناني ، ولكن قد يجهلها الكثير من القراء في أنحاء العالم العربي . .

وتحكى الرواية أن أحد الأكرادكان يسير مع أحد الدروز ، ومشهور عن الأكراد والدروز العناد ، وجاء سير الاثنين في المزارع ، فلفت الكردى نظر الدرزى إلى طير موجود بين الأشجار يبحث عنشيء يأكله . . فرد عليه الدرزى إن الذي يراه بين الأشجار واقفاً على الأرض ليس طيراً بل عنزة . . فقال له الكردى : با أخى إنه طير ، هذا هو الدليل . وقذف بحجر في اتجاه الطير فطار ! ! فرد عليه الدرزى : عنزة ولوطارت .

وكان من حكايات عناده حكايتان إحداهما رواها لى والثانية عشتها معه . . . أما تلك التي رواها لى ، فإلى القارئ تفاصيلها :

كان الموسيقار الراحل في رحلة إلى الإسكندرية مع صديقه السيد عبدالرحمن سرور الصبان ، وكان قد سافر إليها بالسيارة لقضاء يومين على شاطئ عروس البحر الأبيض المتوسط ، وبعد أن أمضيا اليومين على أحسن ما يجب كل منهما . . طلب السيد عبد الرحمن سرور من صديقه الموسيقار أن يعودا إلى القاهرة بالطائرة بدلاً من ركوب السيارة ، فقال له الموسيقار إن المسافة واحدة ، على ماتر وح المطار وتركب الطائرة وتصل إلى القاهرة وتأخذ تاكسى من المطار إلى المنزل تكون وصلنا بالسيارة . وهنا قال له صديقه : على أى حال يبقى تغيير بافريد ، ونكون مع بعض! ! . . فرفض الموسيقار الإقتراح ، وأصر على السفر بالسيارة ، وقال لصديقه : يعنى أنت بتوجدنى أمام الأمر الواقع ، وأمر على السفر بالسيارة ، وراح أحرمك وليه ماخدتش رأيي في هذا الموضوع ؟ على أي حال أنا مسافر بالسيارة ، وراح أحرمك تسافر بالسيارة ، وراح أحرمك من أن نكون معاً بالطائرة ، وأراهنك أنى سأكون بالقاهرة قبل منك باللى مسافر بالطائرة ! !

فقال له صديقه : طيب أنا أراهنك على ماثة جنيه إذا حصل ووصلت القاهرة

قبل مني وقبل فريد الرهان.

ولما كان فريد يعلم في قرارة نفسه أن حسابه خطأ ، وأن صديقه سيصل قبله إلى القاهرة فإنه بعناده الشهير أصر على أن يكون بالقاهرة قبل الصديق .

وأعد الموسيقار سيارته وأجلس السائق بجواره ، وجلس هو على مقعد القيادة ، وكان معه السيارة الباكار» وهي بقوة الأعانية سلنده وتوكل على الله وانطلق على سرعة مائة وخمسين كيلومترا في الساعة ، وجلس السائق المحمد الله يرتعد ويقرأ القرآن والموسيقار ينطلق بالسيارة غير مكترث لنقط التفتيش على الطريق الصحراوي ، ولماكانت المسافة بين القاهرة والإسكندرية حوالى مائتين وخمسين كيلومترا ، فإنه على هذا المنوال سيصل إلى القاهرة بعد حوالى الساعتين إلا ربعا ، فإذاوضعنا في الحساب مداخل القاهرة التي لا يستطيع أن يسرع فيها بالسيارة أكثر من ٦٠ أو ٥٠ كيلومترا في الساعة وهي مسافة تصل إلى خمسة عشر كيلومترا ، فإن معنى هذا أن الموسيقار سيصل في ساعتين وكسور . . ولما كانت الطائرة تقطع المسافة من الإسكندرية إلى القاهرة في نصف ساعة ، ونصف ساعة من مدينة الإسكندريةإلى مطار الإسكندرية في ثلاثة أرباع الساعة من مطار القاهرة ، إلى منزل الموسيقار بالجيزة فإن حسابات الصديق تجعله الساعة من مائر الموسيقار في ساعتين إلا ربعا . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين يصل إلى منزل الموسيقار في ساعتين إلا ربعا . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين وقيقة بالزيادة في رحلة الموسيقار . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين يقيقة بالزيادة في رحلة الموسيقار . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين وقيقة بالزيادة في رحلة الموسيقار . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين .

وعمل الموسيقار الراحل كل ما يمكن ليصل فى موعده وقبل صديقه . . وفعلا وصل منزله وسأل البواب : هل الأخ عبدالرحمن وصل ؟ ؟ . فقال له البواب : لا ماوصلش ! !وهنا إنفرجت أسارير الموسيقار وارتاحت أعصابه . . وبمجرد أن جلس على كرسيه ، دق جرم الباب وإذا بالداخل الصديق عبدالرحمن سررو الذى وضع بده فى جيبه ، ودفع للموسيقار مائة جنيه قيمة الرهان . .

وهكذا أوصل العناد الموسيقار إلى المخاطرة بحياته الغالية على الملايين لمجرد أن

ينتصر على صديقه . .

أما الحكاية الثانية فهي من أروع الأمثلة على عناده وقد عايشتها معه . .

كان ذلك فى أثناء تصوير فيلم « زمان ياحب » وغير المحرّج بعض مواقف فى الفيلم وحواره وأضيف إليه الحوار التالى :

ه المنظر : فريد الأطرش يركب حماراً اسمه « ابوللو » ومعه الفنانة زبيدة ثروت بطلة الفيلم » .

وكان الحوار :

شوشو : أستاذ فريك، تحب تسمع موسيقي .

فرید : بکل سرور .

وهنا يبحث شوشو فى رقبة الحمار عن شيء، ثم يرفع بده براديو ترانزستور ، يبدأ الحوار التالى :

فريد : أنت كمان معلق له راديو ؟

شوشو : امال باأستاذ؟؟ أبوللو بيحب الموسيقي ، وخصوصاً أغانيك .

فريد : ما هو أصله حمار . .

وأعجبت القفشه فريد ، وأصر على أن تكون بالفيلم ، وفعلا تم التصوير ، ودعانى الأستاذ عبدالسلام موسى ، المشرف على الفيلم لرؤية الفيلم قبل عملية المكساج ، وحضر العرض عدد كبير من المشرفين على مؤسسة السيلما .

وذهلت عندما سمعت الحوار ، واعتقدت أن به مساساً بالموسيقار .

وكان فريد فى لندن ، واتصل بى تليفونياً ، وقلت له رأبى إنه لابد من حذف هذا المشهد فقال لى الموسيقار : لا يامحمود ، أنا عاجبنى ! وسكت . . وحضر الموسيقار إلى القاهرة ، وبدأت أناقشه فى موضوع هذا المشهد ، فقال : يامحمود ، أرجوك اسكت ، أنا عاجبنى !

وسكت فعلا ، وعرض الفيلم في بيروت ، وكان من عادته أن يطلب من أصدقائه أن يروا أفلامه ويتولوا له رأيهم ، ورأى الجمهور في الصالة . . وذهبت في زيارة له في بيروت ، فطلب مني أن أرى الفيلم وفعلا شاهدت الفيلم ، وقلت له رأبي وزدت عليه رأى الناس في الحوار الذي كان موضع خلاف بيني وبينه والسابق الإشارة إليه ، واتضح أن غيرى قال له مثل ماقلت ، فطلب مني الأستاذ فريد أن أتصل بالمؤسسة في القاهرة لرفع هذا المشهد من الفيلم ، وعدت للقاهرة وقال المسئولون سبق السيف العزل لا يمكن . . لأن النسخ توزعت . . وقلت لهم إن الأستاذ فريد مستعد يدفع كل التكاليف مهما كانت ولو وصلت عشرة آلاف جنيه ! ! فقالوا متأسفين . .

وظل الموسيقار فترة طويلة من الزمن متأثراً من هذه الواقعة ، وزعل جداً لأن المؤسسة لم تستجب لطلبه . .

وهكذا نرى فريد الأطرش عنيداً ، ولكن فيما لا يضر الغير ، ويصر على رأيه حتى ولوكان خطأ ثم يحاول أن يصلح ماأفسده الدهر حتى ولوكلفه مالاكثيراً . .

وفريد الأطرش كان عطوفاً على كل من حوله يحب صديقه ويتفانى فى حبه ، ولا يهدأ ولا يستقر إلا إذا اطمأن على أصدقائه واحداً واحداً . . وكان إذا سافر إلى بلد آخر خارج الجمهورية يتصل مرة على الأقل كل أسبوع تليفونياً ويسأل عن كل واحد باسمه ، وكان إذا جد الجدوأحس أن صديقه فى حاجة إليه ، سارع إلى الاتصال به ووقف بجانبه لينصره ويناصره إلى أن يمر بمحنته أو ظروفه القاسية على أحسن حال وهنا يهدأ الموسيقار ويستريح باله .

وأذكر أن صديقاً من رجال الصحافة المرموقين تعرض فى أوائل الستينات لقرار وقف عن عمله ، ووقف مرتبه ، وكان هذا القرار من جهة عليا لا تعقيب على قراراتها . . وكانت مراكز القوى تعتبر الاتصال بأى شخص مغضوب عليه خيانة وطنية ، جزاء من قام به أن يحبس . . أو يشرد . . أو يحارب فى رزقه ! . .

وظل المحيطون بفريد لا يخبرونه من أمر صديقه شيئاً ، إلى أن جاء اليوم الذى افتقده فيه الموسيقار فاتصل به في مكتبه ، وعلم أنه بإجازة منذ مدة طويلة ، فاتصل بمنزله فعلم أنه غير موجود بالمنزل أيضاً ، فتوجه بنفسه إلى منزل الصديق ساثلا عنه ، وهناك علم بما أخفاه عنه الأصدقاء فظل منتظراً في سيارة أمام منزل الصديق ، وظل منزل الموسيقار وأصدقاؤه يبحثون عنه في كل مكان إلى أن أصابهم القلق ، وبعد ساعات من الإنتظار الممل والقلق ، ودخل الموسيقار وهو أشبه بقائد عاد من ميدان القتال بعد أن لقن جيوش أعدائه درساً قاسياً وهزمها شر هزمة ، ، وبسؤاله أين كنت وأين اختفيت . . هل هو حب جديد . . أو ماذا ؟ والكل في لهفة لسماع المخبر فأجاب الموسيقار بهدوء شديد أنتم عارفين أن فلان موقوف عن عمله ؟ فأجابوه :

- طيب ليه ماحدش قاللي ؟؟

فرد أحد الأصدقاء :

- ماهو يافريد أنت عارف إن قرار إيقافه عن العمل قرار سياسي ، واحنا عارفينك ما بتعملش حساب للمسئولين . . وأنت فنان كبير ، ومش عايزين حد يزعل منك ! .

فرد فرید :

کتر خیرکم ، علی أی حال أنا عرفت الموضوع كله . . وزرت الصديق واللي يجرالی يجرالی .

وكانت مشكلة ترقب الجميع نتائج ضارة لها تلحق بالموسيقار ، وفى أثناء الحديث دخل الصديق الموقوف ، وقبل فريد قبلة حارة ، ثم جلس ،ثم وضع يده فى جيبه وأخرج شيكاً قدمه للموسيقار قائلا إذا احتجت لشيء سأجأ إليك . . فرفض الموسيقار أن يمسه بيده ، وكانت المفاجأة أن كان شيكاً موقعاً على بياض من فريد

الأطرش . . تركه لأهل منزل الصديق لما يئس من حضوره . .

وهذا هو فريد !!

وكان فريد أيضاً قلقاً دائماً عندما يقدم على أى عمل فنى . . تجده غير مستقر على حال . . لا ينام حتى يرتاح ، ولا يتسلى مع الأصدقاء بلعبة « الكومى » . . وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ كان قد انتهى من إعداد أغانى فيلم « زمان ياحب » ، وكان البحث جارياً عن بطلة الفيلم ، ووصلت إلى بيروت لزيارته والإطمئنان عليه ، ووجدت أن شغله الشاغل أن يجد بطلة تقف أمامه فى فيلم « زمان يا حب » . . فقلت له :

- هل رأيت فيلم « . . . » وبطلته « . . . » وإخراج صديقك ومخرجك المفضل بركات . .

فقال :

. . ! 1/2 -

فاتصلت بصديقه وصديق الأخ روبير خياط ، وسألته عن الفيلم المطلوب ، وهل عرض في بيروت أو لا ، فاستمهلني إلى أن يسأل الموزعين في لبنان ، وفعلا وجدنا الفيلم في بيروت فطلبت من روبير خياط أن يطلب النسخة ليراها الأستاذ فريد ، وفعلا قام السيد خياط باستجار النبيخة ، وألغى حفلة الساعة التاسعة بالسيلم التي يملكها بالأشرفية ، وأمسك الموسيقار الراحل بالتليفون ودعا مجموعة من الأصدقاء لمشاهدة الفيلم في عرض خاص ، وكان في مقدمة المدعوين صاحب الموعد ، الأستاذ بديع سربيه وزوجته السيدة نادية ، والسيدة سلوى القدسي ، حبيبة قلب الموسيقار إذ لم يكن قد أعلن خطبته لها بعد . .

ودارت ماكينات العرض . . وشد الفيلم جميع الحاضرين ، واندمج الموسيقار مع قصة الفيلم وهو ينظر بعين خبير إلى البطلة وتحركاتها في « الكادر » وروحها في أداء الدور ، إلى أن ظهرت على الشاشة كلمة « النهاية » . ونظرنا جميعاً إلى الموسيقار

لنسمع قراره ، ونظر هو إلينا يتلمس قرارنا . . ونحن صامتون وبدأ هو يسأل وكان أول الذين سألم الموسيقار الأستاذ محمد بديع فقال رائعة ! . . وقالت السيدة سلوى القدسى : ممتازة تليق للدور معك يافريد !! . .

وقال روبير خياط : أنا واحد باشتغل فى السينها من زمان ، وأقدر أقول هايله جداً . . ونظر إلى الموسيقار الراحل فقلت :

أنا قلت لك إنها ممتازة وتستحق الدور! . .

وسكت الموسيقار وخشينا جميعاً ألا يكون مقتنعاً بما نقول ، وفجأة قال : على خبرة الله !

ووجه لى الكلام ;

والنبى ياأخ محمود تتصل بالأستاذ عبدالسلام موسى ، المنتج المنفذ للفيلم ، ومندوب المؤسسة بفندق «كارلتون » وتبلغه قرارى وعلى الله نتوكل ونشتغل! . .

وبحثت عن تليفون فإذا بتليفون السينما معطلاً ، فابلغت الأستاذ فريد فقال :

- طيب لما نوصل البيت نطلبه . .

وما كدنا نصل البيت - بيت الموسيقار - حتى أمسك هو بالتليفون . . وطلب فندق كارلتون :

فريد : الأستاذ عبدالسلام موسى . .

عاملة التليفون : دقيقة من فضلك ندور عليه . .

وبحثت عاملة التليفون عن الأستاذ عبدالسلام موسى فلم تجده ، فقالت متأسفة تحب تسبب رسالة ؟

فقال : أيوه من فضلك اديني المحتَص . . .

وحولت عاملة التليفون المكالمة إلى المحتص ، وهو الموظف الذي يعطيك مفتاح غرفتك بمدخل الفندق ، ودار حوار رواه لى الموسيقار فها بعد .

فريد : من فضلك عايز اسيب رسالة للأستاذ عبد السلام موسى . . أنا فريد الأطرش .

عامل الفندق: مرحباً يا أستاذ. . يا أهلا وسهلاً . . اتفضل قول يا أستاذ . . فريد: الأخ الأستاذ عبد السلام موسى وقع اختيارى على الفنانة « . . » للقيام بدور البطولة أمامى فى الفيلم أرجو إخطار الأستاذ محمد رجائى مدير الإنتاج بالمؤسسة بالقاهرة ليتعاقد معها . .

عامل التليفون : ده معقول ياأستاذ أنت تقوم بالتمثيل أمام هذه الممثلة . . دى مين دى « » ياأستاذ اللي تمثل قدامك . .

فريد : طيب أرجوك الغ الرسالة .

وكان قرار فريد أن هذه الفنانة لا تصلح للقيام بدور البطولة أمامه ، لأن هذا رأى الجمهور والجمهور هو كل شيءفى حياة فريد الأطرش ، ولذا كان يسميه دائماً : الحبيب . .

وهذه هي صفات فريد التي ستظل خالدة في حبه لفنه . . وقلقه على فنه . . واحترام رأى جمهوره مهما كان . . ولم تكن نظرة فريد إلى جمهوره هي نظرة الفنان للذين يصفقون له ويعجبون به . لا . فريد كان يرى هذا الجمهور باعتباره الشعب . . وهذه الأمة . . وهذه الأرض.

إن هذا يجعلني في حاجة إلى تسليط الضوء على مشاعر فريد نحو وطنه .

لقد كان الموسيقار الراحل صورة مجسمة للوطنية محباً لبلده يعتز بمصريته . يشارك بروحه وإحساسه فى كل مناسبة وطنية ، وكان يتألم كثيراً إذا لم يستدعه أحد للمشاركة بفنه فى عيد وطنى .

وكانت احتفالات ٢٣ يوليو « تموز » من كل عام تمثل بالنسبة له . . حسرة وألماً ، ويظل يجوب أرجاء منزله ، ويحدث نفسه . . لماذا لم يستدعني أحد للمشاركة فى العيد؟! هل يجوز لى أن أقتحم الحفل ومعى الفرقة الموسيقية وأقول: أنا عايز أغنى وأشارك . . وهل يليق بالفنان أن يقف على بالباب ويطرقه ويقول: يا ناس لازم أكون معاكم فى الليلة دى ؟؟

ثم يجيب فريد : أبداً ، لا يمكن أن يحدث مثل هذا ، أنا قاعد في بيتي لغاية ما يعرف المسئول عن هذا الحفل ، أنني موجود ، ولا يليق بي أن أذهب إلى مكان الاحتفال دون دعوة . . والرئيس عبد الناصر وضيوفه قاعدين . . وأعمل غلطة بروتوكولية ! . .

وفى عام ١٩٦٧ كانت النكسة وبدأت الدماء تغلى فى جسد الموسيقار المريض ، وبدأ الحزن يسيطر على حياته لما أصاب بلده ورفض أن يعود إلى القاهرة الكسيرة ، وفجأة انتفض الموسيقار الراحل وطلب مؤلف الأغانى عبد الجليل وهبى ، وجلس يشرح مرة أخرى ، وأنه لازم نحارب لازم نحارب لازم نعمل حاجه ، وأن العرب إذا كانوا قد خسروا معركة ، فليس هذا كافياً أن نستسلم للكلاب . . وهذا تعبيره بالحرف الواحد . . .

وفى اليوم التالى حضر إليه الشاعر عبد الجليل وهبى وسلمه نشيداً ، هذا النشيد هو نشيد « شعبنا يوم الفدا » ومقاطع النشيد تقول « لا تقل ضاع الرجاء . . إن للباطل جولة . . وفى نهاية النشيد « أذان » بنادى على العرب « الله أكبر الله أكبر . . لا إله الا الله » . .

وبدأ الموسيقار الراحل تلحين النشيد وانتهى منه ، وبدأت البروفات مع الفرقة الموسيقية ثم توجه للاستديو لتسجيله ، واتصل بصديقه الأستاذ جلال معوض لأخذ رأيه فى الكلمات . . فهنأه على حسن إختياره . .

ثم أخذ الموسيقار قراره : لابد أن أرسل هذا النشيد إلى جميع الإذاعات العربية ليذاع فوراً ، وطلب من الأستديو إعداد النسخ اللازمة بعدد الدول العربية ، وتوجه إلى السفارات العربية في بيروت ، وسلم كل سفير نسخة ، واستدعاني من القاهرة ، وسلمني نسختين لإذاعة القاهرة ، وأحضرت الشريط وأذيع . .

وبعد أسبوع تلقيت مكالمة تليفونية من الموسيقار الراحل وأبلغني أنه ليس كافياً مافعله لابد من تصوير النشيد تليفزيونياً ، وقلت له : فكرة كويسة . . وفي اليوم التالي كان استديو ١١ في تليفزيون لبنان يبني الديكورات ، وبدأ التصوير ، وأرسل لى نسخة من الفيلم سلمتها لتيلفزيون مصر . . وقام هو بتسليم النسخ إلى السفارات !

وهدأ فريد ، ودفع كافة التكاليف من جيبه المخاص . . وقال : ده أقل شيء أعمله نحو بلدى . . ياريتني كنت في حالة صحية تسمح لى بأني ألف على جميع المعسكرات للجيوش العربية . . وأغنى لإخوتي الجنود هذا النشيد . .

S 0 7

وتحضرنى فى هذا المقام رائعة أخرى ، فى أكتوبر ١٩٧٣ ـ كنت مع الموسيقار فى باريس وتركته الساعة الثالثة ليستريح بعض الوقت على أن أعود له فى السابعة مساء . وفى الساعة الخامسة استمعت إلى الإذاعة التونسية وكان الخبر الأولى عندها هو قيام الحرب فى الشرق الأوسط ، ودخول مصر الحرب ضد إسرائيل ، وأن مصر انتهزت فرصة عيد الغفران عند اليهود وهاجمت الجيوش الإسرائيلية فى سيناء . .

واتصلت تليفونياً بالموسيقار الراحل فى فندق « البرنس ديجال » وقال عامل التليفون إن الموسيقار طلب عدم الإزعاج . . وعدم تحويل أية مكالمات إليه قبل الساعة السابعة فقلت لعامل التليفون . . أنا صديقه ومحاميه ، وعندى رسالة عاجلة من القاهرة تهم أعماله . . ولابد من أخذ رأيه فى الموضوع . . وأرد على القاهرة حيث ينتظرون أخذ رأينا لتوقيع عقد هام . .

وبعد حوار طويل وافق عامل التليفون على أن يحول المكالمة للموسيقار ، فاستيمط

فرعاً ، وقال : خير يامحمود . . لازم فيه حاجة وحشه . . أرجوك ماتخبيش على . . .

وقلت له : مصر حاربت إسرائيل ، والرئيس السادات أمر بالحرب . . . ! .

فرد الموسيقار : الحمدالله ، هذا أسعد خبر أسمعه منك ، أنا دلوقت استريحت ، لازم كان يحصل كده . . لازم نموت كلنا يامحمود . . ولا يبقى الحال كما هو عليه . . تعال فوراً علشان نتابع الأخبار . .

وجلست معه فى جناحه فى الفندق ، كان معه فى رحلته هذه خطيبته السيدة سلوى القدسى ، وجلس الموسيقار أمام التليفزيون ، وجلست أنا أدير مفتاح الراديو باحثاً عن المحطات العربية أو إذاعة القاهرة ، ولكن بدون جدوى ، وكانت الأخبار التى يذيعها التليفزيون الفرنسي كلها سيئة وضد العرب ، وقال الموسيقار : أنا باعتقد يامحمود إن فيه تحيز . . اطلب لى القاهرة ، واطلب لى بيروت .

وظل على نار يترقب المكالمتين ، وإذا بأخبار القاهرة مطمئنة جداً ، وإذا بجنودنا قد عبر وا ، وإذا بالجيش المصرى قد استقر على الضفة الشرقية للقنال ، وإذا بأخبار بير وت مطمئنة أيضاً . . فإن الجيش السورى انطلق من الجولان ، وبدت الفرحة على وجه الموسيقار ورأيته وكأن عمره قد نقص عشرين عاماً ، وكأنه قد شنى من جميع أمراضه ، وقال : مش قلت لك فيه تحيز . . الحمد لله أنى عشت حتى رأيت هذا اليوم . . سأرسل برقية للرئيس السادات، أهنئه ، و برقية للرئيس الأسد ، أهنئه . . هات ورقة وقلم .

وكتب البرقيتين وأرسلهما . .

وفى هذه الليلة لم يخرج من الفندق ، وظللنا جالسين نتابع الأحبار ، ونشترى جميع طبعات الجرائد . .

وجلس يفكر فى الانتصار ، وقال لازم ترجع مصر على طول علشان أكون جنب إخوتى الجنود فى هذه الأيام التاريخية . .

 ولكن المطار مغلق يا أستاذ فريد ولا يمكن تسمح لنا القوات المسلحة المصرية باستعمال المطارات المدنية في هذه الظروف . .

وقال: ده صحيح..

قلت : إذن ، لازم نسافر إلى لندن لأن ميعادك مع الدكتور جبسون يوم الا ١٩٧٣/١٠/١٠ وثق أن علاجك والاطمئنان على صحتك عمل وطنى تخدم به بلدك . . وسكت الموسيقار ، ثم تكلم وسألنى :

ه طیب ، وأنت حتعمل ایه یامحمود ؟ . . مش ممکن أسیبك لوحدك فى ملد زى ده . . لازم تسافر معایا على لندن لغایة المطار مایفتح وترجع مصر معایا . . .

فقلت له :

طیب سیبك من الموضوع ده . . وماتحملش همی . .

فقال :

- إزاى ماحملش همك ؟ ؟ بكره الصبح أنا رابح معاك على القنصلية البريطانية في باريس وأطلب لك تأشيرة . .

وذهبنا فى الصباح وأصر القنصل البريطانى على ضرورة استئذان القنصلية البريطانية فى القاهرة والحصول على موافقتها على منحى التأشيرة . . وتضايق الموسيقار وظل يفكر ماذا يفعل حتى يطمئن على قبل سفره إلى لندن . .

وبعد ثلاثة أيام داوم على الاتصال فيها بالقاهرة وبيروت ، وعرف أن كفة الحرب قد مالت نحو العرب ، وأن العرب لقنوا الجيش الإسرائيلي درساً لن ينساه ، وأن خط بارليف قد إنهار . . علمنا أن مطار بيروت مفتوح للطيران المدنى ، وذهب معى إلى شركة الطيران ، واستبدل لى تذكرتى إلى بيروت . . حتى أذهب إلى بيروت وأبقى هناك إلى أن يفتح مطار القاهرة . .

واتصل الموسيقار بأخيه منير في بيروت ، وطلب منه أن يحجز لى بفتدق ، بريستول ، وأن يرعاني طوال غيابه عني . .

ثم قال يامدام سلوى أرجوك تعودى مع محمود إلى بير وت علشان تكونى فى رعاية محمود وأنا غايب ، وكمان أنت عارفه ظروف المستشفيات وبقائى فيها ، وأنا الأطمئن فى لندن لوحدك ولا أحب أن تكونى فى أى فندق . . وأنا داخل المستشفى . . لأن الأطمئن عليك إلا إذا كنت أنا بجوارك . .

وعدت مع السيدة سلوى القدسى إلى بيروت وبقيت هناك ، وإذا برقية تصل بعد أيام للأخ روبير خياط ، وهو من أخلص أصدقاء الموسيقار الراحل ، بأن الموسيقار عائد إلى بيروت بعد أن انتهت إقامته فى المستشفى واطمأن الدكتور جبسون عليه .

ذهبنا إلى المطار ، كل أحباب فريد وأصدقائه ، لنستقبله . . ونزل علينا من الطائرة سعيداً بعودته سعيداً بنصر العرب ، ولمحنى بين المستقبلين وضحك ضحكة عريضة وقال :

- الحمد الله ، أنت لسه هنا ، دى فرصة عمرى أنى لقيتك موجود فى بيروت ! .
 - قلت : -- اه خه
 - ليه خير . .
 - فقال:
- خير . . أنا عايزك تقعد معايا كام يوم . . إن سعادتى لا حدود لها أن أجد صديقاً يكون بجوارى . . وأنت خير صديق . .

كان هذا هو فريد فعلا

فلقد كان فريد الأطرش إنساناً عطوفاً ، يحب الخير ويسعى إليه ، وإذا سمع عن صديق مريض سارع لزيارته ، وإذا سمع عن شخص فى حاجة إلى مساعدة بادر بمد يد العون له خفية . .

وأذكر فى عام ١٩٦٦ كانت حالة فريد الصحية سيئة جداً ، وتورمت قدماه ، وأصبح لا يقوى على الحركة . . حتى خشينا عليه أن تكون النهاية . .

ولسوء حظه كان في هذه الحالة السيئة ، والعمل جار في فيلم « الخروج من الجنة » أمام الفنانة هند رستم ، وكان بين الشوت والشوت يخلع حذاءه ويتمدد على كرسى ، ويرفع رجليه إلى أعلى حتى يخفف الالآم وطلبت منه أن يتوقف عن العمل فقال : كيف أقف يامحمود ؟ ! أنت شايف العاملين في الفيلم قد إيه ؟ ؟ والمؤسسة ذنبها ايه يتعطل العمل في الفيلم ؟

والفنانون ذنبهم ايه . ماهو كل واحد عايز يخلص علشان عنده شغل تانى . . ولم نجد بدأ نحن أصدقاء فريد نرقب الحالة ونستشير الدكتور عوض إبراهيم ، إلا أن الحالة زادت سوءاً وتضخم القلب ، وتضخم الكبد ، واتصل الدكتور عوض إبراهيم بالموسيقار محمد عبدالوهاب الذى اتصل على الفور بي وعرف الحالة ، ثم بادر إلى الاتصال بالدكتور محمد عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة وإلاعلام في ذلك الوقت ، والمسئول عن مؤسسة السيها حيث تتبع وزارته .

وكان الدكتور عبدالقادر حاتم رقيقاً إذ بمجرد سماعه الخبر ، ذهب إلى ستديو نحاس بنفسه حيث يجرى العمل فى الفيلم ، ودخل الدكتور حاتم ليفاجأ بالموسيقار الكبير الراحل جالساً على كرسى وقد خلع حذاءه ، وسأله عن صحته ، فقال له الموسيقار الحمد الله . .

ونظر الدكتور حاتم إلى المحرّج ، وإلى المسئولين بالمؤسسة ، وأصدر قراره على الفور : « بوقف العمل بالفيلم ، وتتخذ إجراءات سفر الموسيقار فريد الأطرش إلى لندن للعلاج فوراً وعلى نفقة الدولة » .

وقال له الموسيقار : ألف شكر يادكتور . . وأنا أشكرك وأشكر الدولة . . الحمد لله عندى مايكفيني ، بس كل اللي بطلبه هو أن تحول المبالغ اللازمة للعلاج

من مصر ، وأنا أدفع هنا القيمة بالجنيه المصرى ' . .

فوافق الدكتور حاتم على الفور .

و بعد أيام تحسنت صحة الموسيقار وكنت فى باريس وخاطبته تليفونياً ، وطلب منى الحضور إلى لندن ، وفعلا ذهبت لزيارته هناك ، واطمأن قلبى على صحته ، واستأذنته فى السفر للقاهرة لمناسبة عيد الأضحى الذى كان باقياً عليه عدة أيام ، فشد على يدى وقال : مع السلامة بس فيه حاجة مهمة !

قلت له : خبر . .

قال : لاتنس أن تقوم بالواجب نحو إخوتى المؤلفين والملحنين الفقراء!

قلت : أى واجنب ؟

قال : اخص عليك يامحمود ، نسيت . . العيدية . . كل سنة وأنت طيب . . الأيام القادمة عيد . . والمحتاج ينتظر ليكسى أولاده ويفرحهم . . أرجوك ادفع كالعادة وزود المبلغ شوية . . وقولم . . ادعوا لفريد بالشفاء . . وإن شاء الله العيد القادم نعيد كلنا مع بعض في القاهرة . .

وكان الموسيقار الراحل شجاعاً ، لدرجة التهور . كان دائماً يقول الرب واحد . . والعمر واحد وأذكر أنه في عام ١٩٧٣ أصيب الموسيقار فريد الأطرش بداء ٥ النقرس وكان يأخذ أدوية كثيرة . . وفي أثناء وجوده في القاهرة قاسي منه كثيراً ، وكان مرتبطاً بعمل في بيروت ، وقرر السفر وفي الموعد المحدد وحسب العادة المتبعة ، وعلى طائرة الشرق الأوسط التي تغادر القاهرة الساعة الرابعة إلا عشر دقائق بدأنا نستعد لسفر الموسيقار ، وذهبت إليه الساعة الواحدة بعد الظهر وجلسنا نناقش بعض الأمور الخاصة به ، ثم بدأ يعد حقائبه ، وكانت معه خطيبته السيدة سلوى القدسي وبدأنا طريقنا إلى الأسانسير . .

وقلت له : طيب أنا نازل أجيب سيارتي على الباب علشان ماتمشيش وتركب

على طول ، لأن النقرس مضايقك ! .

فقال : طيب ، يالله وأنا وراك على طول . !

ووقفت على باب عمارته عشر دقائق فى انتظاره ونظرت نحو الأسانسير فوجدته فى الدور العاشر ، وفى طريقه إلى الدور الأرضى وفجأة فتح باب الأسانسير ، ولقيت أحد العاملين فى منزل فريد يبكى ويقول : الحق . . الحق . . اطلع فوق . . الأرض . . عاوزين دكتور اعمل معروف . !

فأخذت المصعد إلى الدور العاشر ، لأجد الموسيقار الراحل جالساً على كرسى بجوار سريره ولونه شديد الصفار ، وفى حالة شبه انعدام وزن ، وكانت لهفتى على الموسيقار وعلى حياته سبباً فى أننى لم ألحظ شيئاً هاماً . . إذ كانت السيدة سلوى القدسى ممدة على الأرض ومغمى عليها ، وكلمنى الموسيقار بصعوبة قائلا : ماتخافش يامحمود ، الحمد لله فاتت على خير . . بس شوف سلوى . .

ونظرت إلى الجسد الممدد وتطلعت فى الموسيقار ، وارتبكت ، وبدأت أبحث عن الدكتور ، وناديت على أحد العاملين بمنزله ليعاوننى فى رفع السيدة سلوى عن الأرض ، وبعد محاولات بدائية أفاقت السيدة سلوى ، وارتاح الموسيقار وقال : يامحمود ، أنا جات لى دوخة . . ووقعت على الأرض . !

وقال : آنت عارف النور لما يكون بينسحب من اللمبة الكهربائية . . وتخفت شيئاً فشيئاً إلى أن يعود الظلام وينقطع التيار . . هذا ماشعرت به . . ووجدت نفسى والدنيا تدور بي . . والظلام يخيم على الحجرة ببطء شديد ، إلى أن أظلمت الدنيا كلها . . ولم أدر بنفسى إلا وأنا على الأرض ، ولم يستغرق ذلك نصف الثانية ، وغبت فترة أعتقد أنها لا تزيد على ثانية ، وفتحت عينى فإذا بى أجد سلوى ملقاة على الأرض . . فبدأت أتحسس جسدها وأنا في شبه غيبوبة . . وحضرت أنت . . قلت : الحمد لله . . وحمدالله على السلامة . . واحنا طلبنا الدكتور

وزمانه جای . .

وكانت المفاجأة عندما قال : دكتور ايه ؟ فاضل قد ايه على ميعاد الطائرة ؟ قلت له : مافيش سفر النهارده . وعلى أى حال لا بكلامك ولا بكلامى . . ننتظر الدكتور وقراره !

فقال : أنا مسافر . . هاتوا الشنط أحسن الطيارة تفوتني !

وبكى كل من فى المنزل ، وبكت السيدة سلوى وقالت : دخيلك ياأستاذ محمود ماتخليه يسافر . .

فرد الموسيقار : أنا مافييش حاجة . . ماأنت شباب يامدام سلوى ايه اللي وقعك على الأرض . . ياالله يامحمود نتوكل على الله . . ونزلنا .

وفى مطار القاهرة كانت المفاجأة ، إذ وجدنا الميكرفون ينادى الموسيقار الكبير ، وتوجهت إلى الموظفة المختصة وسألنها : خير ؟ مين عايز الأستاذ فريد ؟ فقالت مطلوب لإدارة المطار . .

وحضر أكثر من مسئول فى المطار ، وقالوا : اتصل بنا الموسيقار محمد عبد الوهاب ومعه الدكتور عوض إبراهيم الطبيب المعالج ، وطلبوا منع سفر الأستاذ فريد لأسباب صحية ، ومحافظة على حياته . .

ورد الموسيقار العنيد : اشكروا الأستاذ عبد الوهاب . . واشكروا الدكتور عوض . . العمر واحد والرب واحد . . وابن تسعة لايموت ابن سبعة . . أنا مسافر على هذه الطائرة .

و ودعنا ، وقبلنا ، وركب الطائرة ، وفى المساء اتصل بى من بير وت وقال الحمد لله . يامحمود العمر واحد والرب واحد . .

وفريد كان فى الواقع يتمتع بحاسة سادسة . . كما يقولون ، وكان يحس بأى شيء قبل وقوعه وكانت له نظرة فاحصة فى من حوله يفتش عن شيء يخفونه عنه . . وكانت

هذه عادته لكثرة ماأخنى عنه من أخبار وأمور حريصاً على صحته . . وحتى لا ينفعل فيؤثر ذلك على حالته الصحية . .

وأذكر أنه فى عام ١٩٦٧ كنت فى زيادة لبيروت ، وكان يقيم آنذاك بفندق « بريستول » بالجناح ١٦٦ ، وأنا بالغرفة التي بجواره ١٧٥ .

وكان المتبع أن أدخل عليه الساعة الثانية عشرة ظهراً ، فإذا كان نائماً أيقظته . . وإذا كان مستيقظاً نجلس نستعرض بعض الأمور الخاصة . . والعامة . .

وذات يوم أيقظتني شقيقه فؤاد من النوم ، وكانت الساعة السادسة صباحاً وقال لى : أرجوك تنزل بسرعة

قلت له : خير . .

قال : بس تعال ونتفاهم مع بعض .

ونزلت على عجل لأجد فؤاد الأطرش مرتبكاً وقال : والدنى ماتت ، ومش عارف أتصرف إزاى . . قلت : ندفنها والبقية في حياتك . .

قال : وفريد نعمل فيه أيه ؟

قلت : نسيبه نايم لما يصحى فى ميعاده . . وبعدين ربنا يدبرها . .

وذهبت مع الأخ فؤاد إلى بلدة « شوبت » فى جبل لبنان ، حيث تم دفن المرحومة « علم و ملندر » وكانت مراسم الدفن جديدة على ، إذ وجدت شيوخ الدروز قادمين من كل مكان من الجبل ، وكانت عمائمهم البيضاء ملفتة للنظر ، وحملوا « النعش » على أكتافهم وهم يكبرون بذكر الله ورسوله إلى أن وصلنا إلى المدافن ، وهناك وضعوا التابوت الذى بداخله جمّان الراحلة وبدءوا يصلون عليها صلاة الجنازة . . ويكبرون الله أكبر . . لاإله إلا الله . . محمد رسول الله . . ووضع التابوت داخل المقبرة . . وانصرفنا إلى منزل أحد أقربائها .

وجلسنا في غرفة الاستقبال صامتين إلى أن قطع شيخ العقل الصمت وقال :

العوض بسلامتكم، . . وهي عبارة مماثلة لما نقوله في مصر « البقية في حياتكم »
 أم قال : الموت حق . . والحياة ممر وليست مقراً . . وكل من عليها فان . .

وعدت إلى فندق « بريستول » متأخراً عن الموعد المعتاد مع الموسيقار حوالى ساعتين . وعلمت من موظف الإستقبال أن الموسيقار الراحل سأل عنى كثيراً . . فتوجهت إلى غرفته فوجدته جالساً يقرأ بعض الصحف والمحبلات ، سألنى : كنت فين يامحمود . . أنا قلقت عليك . .

فقلت : والله كنت في مشوار . . .

فنظر إلى محاولاً أن يستشف شيئاً . . وكان يبدو على بعض الضيق ، فسألنى : إيه مالك يا محمود ؟

قلت : أبدا صحیت بدری شویة . .

وقررت أن أتحمل عبء مواجهة الموسيقار وأخطاره بفقد أمه . . أعز إنسانة في الوجود بالنسبة لأى شخص .

وعاد يسألني : مشوار أيه ؟ هــو أنت بتروح مشاوير من ورايا . .

قلت : والله هو مش مشوار يخصني . . إنما الصبح بدرى النهارده ذهبت إلى بلدة شويت » . .

فقال الموسيقار : «شويت » دى بلدماما . . لازم حصلها حاجة . .

فأحسس أن الموسيقار قد تهيأ لسماع النبأ فرددت على الفور العبارة التي سمعتها من المعزين : العوض بسلامتك . . .

وانفجر الموسيقار باكيا ، وصرخ إزاى ماحدش يقول لى . . إزاى أنت بالذات يامحمود ما تصحنيش . . مع السلامة ياماما . . مع السلامة يامن قاسيت الأمرين حتى كبرت وإخوتى . . إنا لله وإنا إليه راجعون .

و بكى . وتركته يبكى . . إلى أن استراح . .

وقام ولبس ملابسه ، وطلب سيارة أحد أصدقائه وعدنا إلى قبر والدته . . ووضع على القبر باقة من الزهور . . وقرأ لها الفاتحة . . وظل يحاورها في صمت حيث كنت أسمع هماً يخرج من فه . . وتركته واقفاً حوالى نصف ساعة . . إلى أن أحس أهل البلدة بوجود الموسيقار بينهم . . وبدءوا يتجمعون ، فأخرجوه من أمام قبر أمه . . وخرجنا إلى الساحة التي أمام القبر ، وتقبل الموسيقار العزاء في والدته وانصرفنا . . وظل مكتثباً مدة طويلة . . برغم قولى له : الحياة عمر وليست مقراً . . وبق في غرفته بالفندق ثلاثة أيام لا يغادرها .

وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ قام الموسيقار بإحياء عدة حفلات فى القاهرة وكانت الإسكندرية هى الختام . .

وفضل الموسيقار أن نسافر بالقطار وكنا ثلاثة : الموسيقار وخطيبته السيدة سلوى القدسي وأنا . .

وفى القطار من القاهرة إلى الإسكندرية . . قابل صديقاً عزيزاً عليه هو رجل الأعمال محمد بركات ، ووقف الرجلان يتكلمان ، وكان أول سؤال سأله الموسيقار لصديقه : إزاى كوثر ؟

وقال السيد بركات كويسة ، ولا زالت في صحة يحسدها عليها الضغار.

و «كوثر » هذه فرس كان يملكها الموسيقار وباعها إلى صديقه بركات . . وكان يعتز بها هي وحصان آخر اسمه « فارس العرب » .

وسعد الموسيقار جداً بأنباء كوثر وقال لصديقه إن شاء الله أنا راجع من الإسكندرية بكره بالليل بعد مااخلص من الحفلة . . وعلى فكرة أنت راجع أمتى ؟

فقال الصديق بركات : إن شاء الله بكره برضه . .

فرد الموسيقار : إذن نتقابل يوم الاثنين بمنزلى الساعة الثانية بعد الظهر ، ونتغذى سوى ونروح نشوف كوثر . . وفارس العرب .

فقال الصديق : إن شاء الله . .

وسلم فريد على صديقه وجلس ، وهمس الصديق فى أذنى : أنا عاوزك . . . وذهبت معه نتكلم ، فقال لى : ياأستاذ محمود ، أنا وقعت فى مطب دلوقت . . . قلت له : خير ؟

قال : فريد أنت عارفه . . المواعيد . . مواعيد . . ولازم أكون عنده يوم الاثنين حسب الاتفاق . . لكن كوثر ماتت بمرض النجمة منذ أسبوع . . وهو مرض يصيب الخيل دائماً - . . وأنا عارف أن فريداً رايح يغني . . وأنا عارف حبه للخيل . . وأنا عارف اعتزازه بكوثر لأنها فرسة كويسة وهوكان معجب بها ومتعلق فيها . . أعمل أيه دلوقت ؟

فقلت له : خيراً مافعلت . .

وعدت وجلست أمام الموسيقار نتكلم فى الجو، والحفلة ، واستاد الإسكندرية الذى تقام فيه الحفلة . . وجمهور إسكندرية ، وإيه اللى يغنيه فى هذه الحفلة ؟ ولكن الموسيقار كان يحس شيئاً . . وكان يريد أن يسألنى عن حديثى مع الأستاذ محمد بركات . . إلا أنه كان حساساً لا يحب أن يسأل عن أى شىء . . ولايدخل نفسه فى موضوع لا يهمه . .

ووصلنا إلى الإسكندرية وغنى ليلتها الموسيقار أغنية الربيع . . وكانت من أحلى المرات التي غناها . . وكان في قمة الأداء . . وقمة السعادة . . وظل على المسرح ساعة ونصفاً . . يشدو بأغنيته ويتصرف ، وكان الطقس رائعاً . . وكان الحمهور رائعاً . .

خرج الموسيقار من المسرح سعيداً . . ووعد جمهوره بأن يعود بعد استراحة قصيرة . وفي الغرفة التي كانت معدة لإستراحته ، كان الصحني الكبير موسى صبرى يجلس معه ، ولاحظ أن الموسيقار قد أرهقه الغناء فمنعه من أن يغني وصلة ثانية ، وعدنا إلى منزل

الميسيقار بالإسكندرية ، وجلسنا نتكلم ونبدى ملاحظاتنا على النحملة . . وعلى الجمهور . . وعلى أداء الموسيقار . . وكان الموسيقار متضايقاً لأنه كذب على الجمهور و لم يعد له . . كما وعد . .

و بعد فترة بدأ الحديث في مواضيع أخرى وجاء ذكر الصديق محمد بركات . . فقال الموسيقار الراحل : ماتنساش يا محمود يوم الاثنين حنروح عند بركات نشوف كوثر » . .

ورأيت أن من واجبى أن أخرج الصديق بركات من ورطته فقلت : والله المشوار ده مالوش لازمة يا أستاذ ، خصوصاً وأن عندنا مواضيع أخرى ولازم نروح نسمع تسجيل الحفلة أحسن . .

وهنا نظر إلى الموسيقار . . ووجه إلى سؤالا : إيه اللي كان الأخ بركات بيقولك عليه فى القطار ؟

وكان السؤال غريباً منه ، إذا لم يتعود فريد أن يسأل عن شيء لا يخصه . . فقلت في نفسي إن حاسته السادسة بدأت تعمل ، وكانت فرصتي أن أخبره بأن كوثر ماتت . . ورأيت دمعة حائرة في عين الموسيقار الكبير ، وقال : أنا إحساسي ماخابش ، معاك أنا حسيت أن فيه حاجة . . ياخسارة كوثر . . حقاً . . الموت نقاد . . وهذا هو فريد . . صاحب القلب الكبير المريض ، أحب كل الناس . . وأحب حتى الحيوانات ، وليس غريباً عليه ذلك . . فلقد كان كله إحساس .

ور بما من أجل هذه الحساسية كانت عصبية فريد تبدأ بمجرد أن يبدأ عمل . لقد كان الموسيقار الراحل قلقاً دائماً على فنه ، فإذا أقدم على إنتاج فيلم تجده عصبياً حاد المزاج . . وكانت العقبة التقليدية التي تصادفه دائماً هي القصة الجيدة . . وكانت له شروط دائماً في القصة : –

أَوْلاً : أَن يكون دوره فى الفيلم مطرباً أو موسيقاراً . .

ه ثانياً : أن تكون القصة عاطفية ، ولم يكن ليبخل في الإنفاق على القصة
 لأنه كان يعتبر ها الأساس لأى فيلم ناجع .

وأذكر أنه بعد أن انتهى من فيلم «حكاية العمر كله » شرع فى البحث عن قصة جديدة ، واتصل بصديقه الكاتب الكبير الأستاذ إحسان عبدالقدوس الذى تواعد معه على الزيارة دون أن يفاتحه الموسيقار فى أى عمل ، وفى الموعد المحدد حضر الأستاذ إحسان لزيارته ، وكانت ليلة من ليالى الصيف . . وجلسنافى شرفة منزل الموسيقار الراحل . . وبدأ الحديث شخصياً عن الحال والأحوال ، وكان الموسيقار متردداً فى مفاتحة الأستاذ إحسان فى الموضوع خوفاً من أن يرفض الكاتب الكبير ، وشدة حساسية من الموسيقار حتى لا يشعر الصديق الكاتب أن الزيارة . . زيارة عمل . .

وبدأ الموسيقار يتكلم عن الأفلام والإنتاج والأغانى . . وظروف مؤسسة السيما ، وعدم وجود إمكانيات الإنفاق على الأفلام كما كان يحدث في الماضي ، وقال له الأستاذ إحسان :

ولماذا لا تعود للإنتاج يا فريد ؟ فرد الموسيقار : أنت عارف أسواق الفيلم المصرى أصبحت محدودة . . ومن الصعب أن أتحمل مخاطر التسويق والإنتاج في هذه الظروف ولكن . . إذا أنت عملت لى قصة كويسة ممكن أقول . . فريد الأطرش يعود مرة أخرى للإنتاج بقصة لإحسان عبدالقدوس . .

ورد عليه الأستاذ إحسان : شوف يأخى فريد ، أنت فاهم أنا أقعد أكتب قصص تفصيل . مش ممكن كتبى موجودة في السوق ، وممكن تفتار منها اللي أنت عاوزه . .

ورد فريد : ياأستاذ إحسان ، أنا شخصياً ماأقدرش اطلع على الناس فى فيلم ودورى فيه مهندس ، أو دكتور أو محامى . . الناس راح تضحك على . . وأنا مش حا أكون صادق . . لأن دورى فى الحياة ليس مهندساً ، أو دكتوراً ، أو محامياً أنا فنان . . ولازم أكون فناناً فى الفيلم علشان يكون فيه صدق . .

فقام الأستاذ إحسان : كلامك صحيح يا فريد . . لكن ليس في استطاعتي أن أكتب حاجة متفصله عليك . .

وبعد إنهاء زيارة الأستاذ إحسان ، جلس الموسيقار مهموماً وقال : شفت إزاى يامحمود . . وأنا مش ممكن أقدم على عمل أنا غير مقتنع به . . تصور أنا اطلع فى فيلم واقف زيك واقول : ياحضرات المستشارين . . مش معقول . يبقى وقار فى المحكمة ، وبعد خمس دقائق أقابل البطلة وأروح أغنى حد يصدقنى بذمتك . .

وقلت له : عندك حق ياأستاذ فريد . . وعلى أى حال نبحث عن قصة . . وظل البحث جارياً إلى أن وجد قصة الكاتب الكبير توفيق الحكيم . . « الخروج من الجنة » والقصة معروفة ، وإذا كان الموسيقار قد وفق في قصة ، فإن هذا كان لا يرضيه . . كان دائما يقول لازم يكون عندى على الأقل قصة أو اثنين جاهزين لأن الأغانى مش سهل الواحد يحطها في الفيلم ، لازم يكون الموقف مناسب للأغنية ، ودى مسألة تاخد وقت . .

وبدأ الموسيقار تصوير فيلم « الخروج من الجنة » وبدأت متاعب البحث عن قصة جديدة حتى تكون احتياطي لديه .

وبعد طول البحث لم يجد القصة التي ترضى مزاجه وتحقق أهدافه ، وعرض في المنزل عشرات الأفلام الأجنبية التي تدور بطولتها حول حياة فنان ، وجد أن قصة فيلم « دادى لونغ لجز » مناسبة له ، واتصل على الفور بالأستاذ يوسف جوهر لاقتباس القصة ، وبعد الانتهاء من القصة ، اتفق مع السيناريست محمد أبويوسف على أن يكتب السيناريو والحوار ، وبعد عمل مرهق لمدة ثلاثة شهور دفع فيها الموسيقار كافة الأتعاب اللازمة لكاتب القصة والسيناريست قال : العمل اللي قاموا به الجماعة كويس وممتاز . . لكن هذا ليس الذي كان في خيالى . . اللي كان على الشاشة

ف الفيلم الأمريكي حاجات إنسانية . . وحاجات تخلى المتفرج مشدود بالفيلم . .
 لكن للأسف يبدو أن الاقتباس عملية صعبة . .

وبدأت البحث عن قصة جديدة . . وقال له المحرج هنرى بركات : فيه قصة كويسة اسمها إيريانا فتاة شابة روسية ! ! وأنت مسافر باريس ابحث عن هذه القصة وهي تصلح لك مائة في المائة . .

ويسافر الموسيقار إلى فرنسا ، وتصادف أن كنت فى عمل لجمعية المؤلفين فى باريس ، والتقينا ، ولاحظت فى صمت تام أن الموسيقار الراحل قد كتب اسم القصة لأكثر من شخص . . حتى موظف الإستقبال بفندق « جورج سانك » ورصد له مكافأة قدرها ثلاثمائة فرنك فرنسى جديد إذا أحضر له القصة . . وكان فى خروجه ودخوله من وإلى الفندق يسأل . . وقلت له : طيب أدينى اسم القصة .

وأخذت الأسم . . وذهبت إلى رصيف « سان ميشيل » بالحى اللاتيني فى باريس وبدأت المحث من العاشرة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر دون جدوى ، وظهرت أمامى خيبة الأمل التى سيسمنى بها الموسيقار عندما أخبره بأنى لم أجد القصة . . ومشيت فى شوارع البحى اللاتينى . . وبجوار جامعة فرنسا العتيدة « السور بون » وجدت محلاً صغيراً لبيع الكتب المستعملة ودفعت إلى صاحب المكتبة باسم القصة ، وكان رجلاً مسناً سألنى : ماالذى ذكرك بإسم القصة الآن ؟ فقلت له : الحقيقة أن لى صديقاً فناناً سحت عنها ! !

فقال الرجل : هل هناك نصف ساعة تجلس معى هنا . . وسأبحث لك عنها . .

وبدأ الرجل ببحث فى رفوف المكتبة ، وبعد ساعة قال : عندك حظ . . وعند صديقك حظ . . وجدت لك نسخة . . هل تعرف آخر مرة طبعت فيها هذه القصة ؟

قلت: لا . .

قال : عام ١٩٢٥ . . .

ودفع لى بالكتاب ، ووضعت أمامه المبلغ الذى طلبه ، وانصرفت وأنا أطير من القرح ، لقد حققت للصديق الموسيقار شيئاً ، ودخلت علمه فى الفندق فوجدته ثائراً . .

كيف تأخرت عن موعدى معه . . وقلت : والله الموضوع كان مهم شوية . ! وأخرجت من وراء ظهرى القصة ، ودفعت بها إليه . . وما إن قرأ عنوانها حتى تهلل وجهه ، وزال غضبه ، وكان نصيبي قبلة على جبيني . . وخمسمائة فرنك فرنسي

جديد مكافأة على هذا العمل العظيم . .

وقال الموسيقار : الحمد لله ، الأستاذ هنرى بركات قال إنها حاجة كويسة . . وكان وجلس يقرأ القصة ونسى الغداء ونسى المواعيد ، وحملها وطار إلى بيروت . . وكان فيلم « الحب الكبير » .

وهذا هو الفنان الموسيقار فريد الأطرش ، يظل قلقاً ولا يهدأ إلى أن يجد ما يرضيه . رحمه الله . .

محمود لطفي



* 67 3

		I	SBN	qv'	V-•Y	· YT9 -	الترقم الدولي ٨-
		1	۹۸۲/۵۰	٧٥			رقم الإيداع
175	•						بقلم : محمود لطنى
1.4	•	•	,	•			بقلم : أحمد فؤاد حسن . . إنها علاقة عمر
							ه عزيزى فريد الأطرش
40			•				بقلم : محمد الموجى .
٧o	•	•		•	٠	٠	بقلم : محمد بدیع سربیة . . فرید فنان لا یتکرر
						عمره	ه حبيب العمر والسنوات الأخيرة من
71	•	٠					بقلم : بليغ حمدى
٤٣	•	•	•	•	•	•	بقلم : جورج إبراهيم الخورى ه دفاع عن الضياع الحضارى
2.4							ه من قتل فريد الأطرش ؟ !
44			•		٠		بقلم : محمود الشريف .
• •	•	•	•	•	•	•	 بنتم . محصد عبد مودب ه فريد الأطرش فنان أحب كل شيء
11				_			 الفن والحياه وفريد الوهاب .
الصفحة							ه الفن والحياة وفريد الأطرش

1/47/770

مابع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)